روايات مصرية للجيب

الطارق 3

أركان

د. سيد زهران

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الي صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الي الجروب

انضم الي القناة

سلسلة الطارق
٠٣

أركـــــــان

د. سيد زهران

تنويه..

هذه السلسلة من وحي خيال المؤلف تمامًا، وأي تشابه في الأحداث أو الأسماء بينها وبين الواقع هو من سبيل الصدفة..

قدَّمها الدكتور: أحمد خالد توفيق.. قائلًا نصًّا:

« سلسلة (الطارق).. أعتقد أنها جيدة وصالحة للنشر، الأسلوب قوي وفيه احترافية.. والمكان غريب وجذاب.. ».

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(طارق عبد الملك) طبيب حالات حرجة مُتحمس، من تلك النوعية التي عندما تتواجد في مكان تُشعله!

يتهامسون سرًّا عن نَحسه، لكن الرجل كان ينظر للأمور من زاوية مُختلفة تمامًا، تتلخص في أن المتاعب لا تأتي إلا لِمن يستحقها.

أطلق عليه أصدقاؤه مُبكرًا اسم (الطارق)؛ لأنه كان مُندفعًا بِطبعه، يحب المُغامرة.. والبحث عن نفسه باستمرار في كل شيء حوله.

(طارق) شخصية هستيرية.. مُصابة بقدر مُحتَمل من الوسواس القهري.

وصَفه (فرويد) ببعض الصفات المُقلقة منها:

« ارتباطه الشديد بالأشياء، الاندفاع، المبالغة في التعقُّل، التذبذب الانفعالي، الاهتمام بالتفاصيل، عدم الاقتناع الكافي بدوره في الحياة.. أخيرًا التزامه شديد الدقة وعدم التعايش مع الفوضي ».

بعدما قرأ (طارق) ذلك التحليل عن نفسه، ابتسم في سخرية.. وقرَّر أن يعيش حياته كما هي، دون فهم.. دون معاناة، تلك العشوائية تُناسبه أكثر، حتى ولو انتهت يومًا بالجنون.

هكذا ظَلت حياته صاخبة، تَمتلئ بالتفاصيل.. والكثير من المَرضي والشخصيات التي يقابلها كل يوم، خاصة بغرفة طوارئ مركز (أجزون) (Axon) الذي صَار يملكه.

فهناك كان البعض يتكلم.. البعض يَهذي.. البعض يبقي صامتًا إلي الأبد..

لكن ظَلت هناك نوعية تبقي.. تجُرك لعالمها.

نوعية تحمل بصمة نفسية مميزة! تَعْلق في ذهنك وتظل تُفكر فيها، لأسباب غير معلومة!

قبل النوم عَادة ما كان يمسك (طارق) يومياته المُهترئة، التي نستطيع إدراجها تحت قائمة الأدب النفسي الساخر..

والتي تحمل عنوانًا كبيرًا بخط يدوي أحمر.. (أوغاد في حياتي)!

هناك يبدأ التفريغ.. ويختلط خياله بالواقع لدرجة أنك قد لا تعرف أين الحقيقة، إنها وسيلة هروب (طارق) لجعل حياته أكثر احتمالًا..

والخَلاص مِنْ كل تلك الوجوه التي تُطارده ليلًا.

ومع كل شخصية استثنائية يُقَابلها، هناك رواية مُسلية تنتظر، سَنقرؤها معًا على ذلك الضوء الخافت.. والأمطار التي لا تريد التوقف بالخارج.

المؤلف

المُقـدمة..

أري البعض جديدًا هنا.. والبعض ما زال عالقًا في تجارب أعداد السلسلة الأولي، (البرزخ) و (الحديقة السوداء)، أعترف أن الروايات كانت مُظلمة نوعًا ما.. وتحمل نهايات غامضة، لكن مَنْ يدري ربما تتكشف بعض الأمور في المستقبل!

حتمًا سأخبركم لو حدث..

الآن علينا مغادرة تلك الذكريات.. والعودة لمركز (Axon)، الذي يُشبه - كما اتفقنا سابقًا - أحقر مستشفي حكومي مركزي.

ما زال كل شيء هنا كما هو..

ما زال (طارق) طبيب طوارئ مُتحمسًا.. تُلاحقه المشاكل!

(عثمان) المُتمرس بكل المهن.. يتجسس لصالح العائلة!

أما د. (شلبي) فيحاول الاحتفاظ بعقله - قليلًا - قبل الإصابة بالجنون..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منتصف الليل..

المشهد لم يختلف كثيرًا عمَّا هو معتاد، نفس استقبال الطوارئ الكئيب للمركز، الأدوية المحدودة.. الأجهزة التي لا تعمل..

أخيرًا ذلك المُمَرض الكسول الذي يَسب ويلعن لو أيقظه أحد من النوم بعد العاشرة مساءً!

لم تأتِ حالات كثيرة اليوم بسبب المناخ، البرد.. الأمطار.. الناس بالتبعية قررت عدم ممارسة الحرص الزائد على حياتها.. وأجَّلت ذلك لوقت لاحق!

كان (طارق) المسئول عن الطوارئ في تلك الليلة، بهدوء نفسي نادرًا ما يُصيبه، دلف لغرفته مُبكرًا عمَّا هو معتاد يحاول النوم قليلًا.

صوت الأمطار بالخارج جعله يشعر بالاسترخاء.. وينساق للنوم، لدرجة أن تلك الرواية سقطت من يده.. (كليمنجارو) ([1]).

إنه الآن في الكاميرون يكافح مرض (إيبولا) اللعين، زعيم قبيلة (مُوزاتا) يتوسل إليه أن يعالج ابنه الوحيد (مُوكابا)، لكن ساحر القبيلة الوغد يعترض..

ينظر إليه الطبيب في تحدٍّ ويشرع في العلاج..

يُصاب الساحر بالجنون ويبدأ في إتيان بعض الحركات الهستيرية، الخاصة بسحر الفودو، يَتصنع (طارق) اللامبالاة.. ويستمر في عمله، لكن فجأة يبصق (موكابا) الدماء على وجهه..

يتلوث الطبيب.. يصرخ الجميع.. ثم ...

يأتي ذلك النداء من أرض الواقع..

- « حالة يا دكتور.. »

يستيقظ (طارق) من حلمه المُفضل يردد بسخرية:

- « الحمد لله.. كُنت سأصاب بالفيروس.. المرة القادمة لا بد من ارتداء ذلك الواقي اللعين.. ».

يدب فيه النشاط، يَفرك عينيه.. يُعدل ملابسه.. يلتقط السماعة.. ثم أخيرًا أهم طقوسه السريعة على الإطلاق، يصدم الحائط!

يبدو أن الأمطار قد توقفت، هذا شجعهم حتمًا على القدوم.. فهناك بعض الصخب في الاستقبال.. اقترب (طارق) يتأملهم، أب.. أم.. أخ.. جيران.. بينما وقف المُمَرض (حمادة) نائمًا على الحائط بجوار الحالة ينتظر..

- « خيرًا؟ »

انفجرت الأم باكية:

- « ابنتي يا دكتور.. حاولت الانتحار.. »

ثم أخذت تُضيف المزيد من التفاصيل، التي لم يُنصت لها (طارق).. وذهب للحالة مباشرة.

كانت فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها تقريبًا، شعر أسود ناعم ينسدل فوق كتفيها.. جسد رشيق.. أخيرًا عيون جميلة مخيفة.

شعر (طارق) نحوها بعدم الارتياح..

- « ماذا حدث؟ »

نظرت إليه في صمت توجُّسي.. ثم همست برعب سيئ:

- « لقد فَشلتُ هذه المرة.. لكن المرة القادمة حتمًا سأنجح..»

آه.. إنها فتاة أخري مخبولة، ألقي (طارق) نظرة سريعة على الجروح غير الجادة الموجودة فوق شرايين يدها.. وهو يقول ببرود:

- « لقد كانت سكينة غير حادة.. »

أجابت:

- « نعم.. »

عبث (طارق) في شعره بغيظ.. ثم اقترب يهمس بأذنها في تحدٍّ مستفز:

- « هناك طُرق أسهل للانتحار غير هذه.. »

أجابته بجدية لا تخلو من الإثارة:

- « أعرف.. لكنه لا يريد سوي تلك الطريقة! »

تراجع يسأل:

- « مَنْ هو؟ »

برقت عيناها في رعب حقيقي قائلة:

- « (فولاتكار)!! »

(طارق) بسخرية:

- « آه.. ومن هذا الرائع؟ أكيد حارس بوابة المجرة.. »

- « لا تسخر منه.. »

وتلفتت حولها تستطرد:

- « فهو نادرًا ما يتركني وحيدة.. »

لم يجد (طارق) ما يقوله، ضمد الجروح.. أعطاها بعض الأدوية.. ثم أوصي الأهل بعرضها على طبيب أمراض نفسية وعصبية في أسرع وقت.

بعدها وقف يتأملهم وهم يغادرون الطوارئ، لكن الفتاة عادت تسأله باهتمام:

- « ما اسمك يا دكتور؟ »

(طارق) بسخرية:

- « تستطيعين سؤال صديقك المُتحمس (فُولاتكار).. »

راق لها الأمر.. فهزت كتفيها قائلة بجدية:

- « معك حق.. إنه يعرف كل شيء.. »

ثم أنصتت ثانية تستمع للفراغ.. كأن هناك شيئًا ما فعلًا يتواصل معها! قبل أن تقول:

- « اسم حضرتك (طارق).. أليس كذلك؟ »

عقد ساعديه خلف ظهره.. واكتفي بالنظر إليها في غيظ! حينئذ عرفت أن إجابتها صحيحة، ضحكت وأسرعت تلحق بأهلها تستطرد بسعادة:

- « إلي اللقاء دكتور.. حتمًا سنلتقي ثانية.. »

بعد انصرافها.. استدعي (طارق) (حمادة) بسرعة ليسأله:

- « هل ذَكرت اسمي أمامهم؟ »

- « لا.. »

- « متأكد؟ »

- « نعم! »

أشار له بالانصراف.. ثم عاد لغرفته شاردًا يفكر، لم يصل عقله لتبرير مُقنع، سوي أنها - حتمًا - كانت تعرف الاسم بشكل مُسبق.. أو أن الوغد (حمادة) قد أخبرها به ونسي!

المهم أن هناك خدعة ما سخيفة بالأمر! لم يعد يريد معرفتها.

استلقي فوق سريره يحاول العودة للنوم.. فلم يستطع! لقد ذَكرته بفتاة قابلها يومًا.. كانت تحمل نفس الشخصية تقريبًا، لكن بشكل أخطر!

ابتسم (طارق) حين تذكرها.. وكالعادة وَجد نفسه يُخرج يومياته (أوغاد في حياتي).. ويقلب أوراقها المُستهلكة، حتى وصل لتلك العبارة التي خَطها بقلمه:

« من يعرف تلك الفتاة يومًا، يصير لا يملك القدرة على معرفة فتاة أخري، إنها لعنة تُطارد كل من يسمح بدخولها حياته! »

اتسعت ابتسامة (طارق) أكثر، وهو شارد في فراغ الغرفة.. وعقله يستدعي المزيد من التفاصيل والمشاعر.

كانت مشكلة تلك الفتاة أنها جميلة!

جميلة أكثر مما ينبغي! أكثر من قوة التحمل! لم يكن هذا عدلًا وقتها!

كانت أيضًا تملك قدرة عجيبة على الإقناع! فأنت تُصدقها.

تُصدقها في كل حالاتها! حين تقدم الحب.. البكاء.. حتى الكذب!

فاليوم أنت فتي أحلامها، لكن غدًا قد لا تكون!

الكل يتحول أمامها لخِرقة بَالية، تفعل بهم ما تشاء، لدرجة أنها قد تقودك إلي الجحيم دون أن تدري!

حقًّا.. لم يُقابل (طارق) فتاة غير قابلة للترويض.. وتتمتع بكل تلك الجودة من التذبذب الانفعالي المُخيف من قبل!

يبدو أنها ستكون ليلة رومانسية غامضة.. المناخ يبدو مناسبًا تمامًا لذلك.

فتلك الأحداث - حتمًا - لا يصلح حَكيُها في الصيف.. سيبدو الأمر مُمِلًّا لو حدث.

ليكن.. سأروي لك كُتيب تلك الفتاة العاصفة.. (أركان).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1 - عبقري آخر..

القاهرة (٢٠١٣).. النصف الثاني من شهر (إبريل).

تلك الفترة التي تَتنسم فيها رائحة الزهور وهي تملأ الأجواء، المشاعر الغامضة التي تنتابك فجأة دون مقدمات.. القلوب الحائرة الباحثة عن الحب في كل مكان.. الاكتئاب المُحبب إلي النفس دون مبرر!

إنها الفترة التي لا تدري حقًّا.. ماذا يُصيبك فيها! إلا في شهر مايو والامتحانات على الأبواب.. والرسوب ينتظرك.

كان (طارق) في تلك الأيام قد ترك العمل بمكتب الرعاية العاجلة.. وباع تلك القطعة من الأرض الزراعية لعمه الوغد (سليم).. ويستعد لفتح مركز (أجزون) بالمعادي.

رغم ذلك لم يكن قد غادر بعد منطقة الحِرَفِيين بـ (الدويقة).. والتي استقر فيها بعد هروبه من (الدرب الأحمر) بسبب تلك الفتاة المُتحمسة (دارين) ([2]).

لم يكن المركز قد تم تجهيز أي شيء فيه بعد للإقامة، كل الذي فعله بعد شراء الفيلا مباشرة.. أن جَلب (عثمان) من البلدة وجعله حارسًا عليها.

كان في تلك الأثناء مصابًا بالارتباك.. ويحاول السيطرة على أموره.. دلف إليه (عثمان) يضع القهوة أمامه كالعادة.. ويردد:

- « متي سوف تنقل أغراضك.. وتأتي للإقامة هنا؟ »

كان (طارق) شاردًا في إصلاح شيء ما على اللابتوب..

- « قريبًا.. قريبًا جدًّا يا عم (عثمان).. »

أضاف الرجل في استنكار كأنه يُحدث نفسه:

- « كيف تكون مالكًا لتلك الفيلا الكبيرة.. وما تزال تُقيم بغرفة فوق سطح عمارة! »

لم يصله رد.. فهز رأسه في رفض وشرع في الانصراف، لولا أن استوقفه (طارق) متسائلًا:

- « هل تعرف أحدًا قريبًا يُصلح أجهزة إلكترونية؟ »

(عثمان) في بلاهة:

- « إيه؟ »

ابتسم (طارق).. وهو يُشير إلي اللابتوب:

- « هذا الشيء توقف عن العمل.. وأريد إصلاحه.. »

(عثمان):

- « إنني جديد في المنطقة.. وفوق ذلك، أنا لا أعرف أصلًا أين يتم تصليح تلك الأشياء.. »

ضاقت عينا (طارق).. وهو يُعيد تكرار جزء من عبارته بسخرية:

- « جديد في المنطقة! أنت طيلة الوقت في الشارع.. »

(عثمان) باستنكار:

- « أنا؟ »

- « نعم.. يبدو أنك نسيت تلك المشاكل التي تجلبها كل يوم.. »

ارتبك (عثمان) قائلًا:

- « تقصد تلك المرأة السمينة التي تسكن في الفيلا المقابلة؟ »

حاصره (طارق).. وهو يكتم ضحكاته:

- « لقد قالت إنك تحرشت بها عدة مرات.. ولولا أن ابنها رجل عاقل لكانت صورتك الآن تحتل صفحات الحوادث.. »

تشنج (عثمان):

- « إنها عجوز مُخرفة.. »

قاوم (طارق) رغبته في الضحك أكثر.. قائلًا:

- « وماذا عن بقية الجيران؟ هل أصابهم داء الخَرف أيضًا؟ »

- « ماذا عنهم؟ »

لوح (طارق) بيده مُتصنعًا الجدية:

- « الجميع يشتكي من سوء سلوكك.. بعضهم قال إنك تُشعل الحطب دائمًا في حديقة الفيلا ليلًا، مما كاد أن يتسبب في اختناقهم.. »

(عثمان) بغضب:

- « ورق الشجر الجاف إذا لم يتم التخلص منه، يجلب الحشرات والثعابين.. »

ضاقت عينا (طارق) من جديد:

- « حشرات وثعابين؟ أم ذلك الشاي الأسود الذي لا تتوقف عن صناعته كل ساعتين.. فوق نار الحطب؟ »

- « أنا لا أحب أن يُقيد أحد حريتي.. »

قال (طارق) ببعض اللين:

- « المدينة لها عادات غير التي تربينا عليها.. ونحن لا نريد اكتساب عداوة أهالي المنطقة مبكرًا دون مُبرر.. »

فاض الكيل بـ (عثمان).. فطرق المكتب بيده فجأة.. مردِدًا بحدة:

- « النهاية.. ماذا تريد الآن؟ هل أعود إلي البلدة؟ »

انتفض (طارق) من وصوله لتلك الدرجة من العصبية.. والتي لم يكن يريدها، فقد كان كل هدفه هو مُشاكسته كالعادة، لكن يبدو أنه انساق إلي التصادم هذه المرة دون أن يدري.

تلجلج (طارق) قائلًا:

- « أنا لم أقل ذلك.. كل ما أطلبه، هو إظهار بعض اللين مع الجيران، حتى يعتادوا على وجودنا.. »

رمقه (عثمان) بتلك النظرة الصارمة.. ثم غادره.. وهو يتمتم - كالعادة - بعباراته الساخطة غير المفهومة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ (طارق) يبحث عَمَّنْ يُصلح اللابتوب.. عَرضه على البعض فعلًا لكن دون جدوي، حتى بدأ يتردد على مسامعه اسم (حامد جِيتس).. كما يُطلِق عليه أهالي المنطقة بسبب ذكائه.

(حامد) كان يلعب دور الشخص الذي يعرف أكثر من الجميع، الحَتمِية التكنولوجية التي لا بد أن تُصيبك عندما يعجز الآخرون..

لكن (حامد) لم يكن له مَحل صيانة.. وتتردد حوله الإشاعات، مثل غريب الأطوار.. يكره الضوء.. لا يراه أحد إلا فيما ندر، عندما تُفكر في تلك الأعراض جيدًا، تجد نفسك إما أمام شخص هيستيري مصاب بِدَاء الارتياب.. أو مصاص دماء يبدأ حياته!

راق الأمر لـ (طارق).. وقرر الذهاب إليه.

كان منزل (حامد) يقع بمنطقة هادئة ومكونًا من طابقين، العلوي للأسرة والأرضي له، لكن بمجرد دخول (طارق) من الباب الخلفي للحديقة، انتابه ذلك

الشعور بالتوجس.

عَلَّ الأمر يتعلق بتلك الإضاءة الخافتة.. أو الأسلاك الكثيرة.. أو حتى تلال المُخلفات التكنولوجية التي تُحيط به، لكن هذا لم يمنع قلقه المُتزايد مع كل خطوة.

توقف يتأمل الردهة الواسعة وكل ما يُحيط به.. فوجد المشهد يصلح خلفية لتصوير أحد أفلام الخيال العلمي..

هنا سمع صوتًا معدنيًّا غير واضح ينبعث من خلف التلال، همس (طارق) بسخرية:

- « إنه حتمًا أحد الروبوتات الذكية يبحث عن قطعة غيار! »

عاد للسير ببطء.. فقابلته شبكة أسلاك عنكبوتية وكابلات متقاطعة لم يَرَ لها مثيلًا من قبل..

- « إما أن هذا الوغد يعمل بمجال التجسس.. أو يتحكم بأحد الأقمار الصناعية! »

ظهر مكتب (حامد) الضخم.. والذي كان يعج بالكثير من التفاصيل العشوائية المُتناقضة! أكواب شاي، أكياس شيبسي فارغة، أسطوانات، سماعات، مسامير من كل نوع، غلاية ماء، بقايا طعام، أطنان من أعقاب السجائر..

- « يا باشمهندس.. يا باشمهندس.. »

غاب الرد.. لكن فجأة ظهر (حامد) يعبث بدائرة إلكترونية قائلًا:

- « لا يوجد مكان لاشتراكات إنترنت جديدة.. »

- « أنا أريد شيئًا آخر.. »

تأمله (حامد) سريعًا، قبل أن يجلس فوق مقعده الجلدي الفاخر يسأل:

- « خيرًا؟ »

أشار (طارق) إلي (اللابتوب) الذي يحمله..

- « أريد إصلاحه.. »

تراجعت لهجة (حامد) الحادة قليلًا..

- « ماذا به؟ »

- « لا أعرف.. »

ـ

ضاقت عينا (حامد) قائلًا.. بعدما فحص الجهاز:

- « هذا الكمبيوتر فَاصِل (power).. والبُردة لا تقرأ.. »

اندهش (طارق) متسائلًا:

- « وكيف عرفت؟ »

- « الأخبار تنتشر سريعًا وتصلني.. »

- « هذا يعني أنك تستطيع إصلاحه؟ »

أشعل (حامد) سيجارة.. ثم مط شفتيه بما يوحي أن الأمر ما زال مُعلقًا..

- « سنري.. »

هنا أتي فجأة صوت خَروشة من خلف باب جانبي.. فاستطرد (حامد) قائلًا ببساطة وهو يعود لفحص الجهاز:

- « من فضلك افتح لـ (شِيمو).. »

نفذ (طارق) رغبته وفتح الباب، لكنه لم يجد أحدًا خلفه! كل ما شعر به شيء ساخن يَمرُق بين قدميه، قفز ليجد قِطًّا ضخمًا يدخل الردهة..

استقبله (حامد) بسعادة.. وهو ينظر إلي الساعة:

- « أين كُنت طيلة النهار؟ وأين (خليل)؟ »

بعدها أخرج كيس عيش فاخرًا وبدأ يُطعمه، لكن قبل أن يشرع (شِيمو) في الأكل، ظهر توءمه (خليل) قادمًا من ناحية الحديقة..

- « لقد أنقذت نفسك.. كنت سأغلق الباب.. »

ثم قام بزيادة الطعام، لكن (خليل) عَزف عن الأكل، عبث (حامد) في فروته يردف:

- « يبدو أنك أكلت في الخارج.. »

بدأ (خليل) النوم سريعًا، بينما استمر (شيمو) في لعب دور القط المُلتزم الذي يُنهي عشاءه بالمنزل..

اكتمل فزع (طارق).. وتراجع إلي الخلف في ارتباك.. فصرخ (حامد):

- « احذر.. »

لكن الوقت كان قد فات.. ولَمس (طارق) ذلك السلك.. توهج.. خروج شرارات.

سَحب (حامد) سكينة فَصل الكهرباء القريبة.. وساد الظلام..

مرت لحظات صمت، قبل أن يجد (طارق) نفسه يفترش الأرض.. ومن أعلى يَطل عليه (حامد)، حاملًا شمعدانًا ثلاثيًّا وبجواره قِطان توءم.

- « أنت بخير؟ »

فتح (طارق) عينيه برعب حقيقي.. وهو يردد:

- « نعم.. ما الذي حدث؟ »

ساعده (حامد) على النهوض..

- « صَعقتك الكهرباء لثوانٍ.. »

وقف (طارق) يَنفُض عنه الغُبار ويُعدل ملابسه.. بينما استطرد (حامد):

- « أنت محظوظ.. فهذا السلك - تحديدًا - يتغذي مباشرة من التيار العالي.. »

(طارق) بعدم تركيز:

- « الحمد للَّه.. »

عادت الإضاءة.. و (حامد) يقول:

- « إصلاح الجهاز إن شاء اللَّه لن يأخذ سوي يومين.. »

- « أي جهاز؟ »

- « جِهَازك! »

تذكر (طارق) ما أتي من أجله..

- « آه.. الجهاز.. خُذ كل وقتك.. »

وانصرف في تخبط.. ابتسم (حامد) لأول مرة.. وهو يتابعه قائلًا:

- « سأتصل بك حين أنتهي منه.. »

اكتفي (طارق) بإيماءة من رأسه.. ثم انطلق هاربًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم البداية السيئة، إلا أن (حامد) صار من المقربين لـ (طارق).. والمسئول عن صيانة أجهزة المركز.. والدعاية.

كان أيضًا صاحب تصميم تلك اللافتة التي أغرقت المعادي..

« مركز أجزون (Axon) للحالات الحرجة والإصابات، طوارئ ٢٤ ساعة »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أسوأ أنواع الإرهاب ليس الإرهاب الدموي! بل الإرهاب الفكري.. وممارسة الصوت العالي.. والبلطجة، والذي يجعلك أسيرًا للخوف.. فتتعطل قُدراتك الإبداعية.. ولا تصير أنت!

بل وقد لا تستمتع بشيء من الأساس في حياتك!

فالخوف - مهما كان نوعه - يُغير تضاريسك النفسية نحو الأسوأ.. ويجعلك تذهب إلي منطقة مظلمة لا عودة منها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان (بُرعي) وأصدقاؤه المُتحمسون (بَحر) و (عِتمان) و (فرخة)، مصدرًا مستمرًّا لإزعاج السلطات، كانوا عابثين شديدي التهور.. ولديهم عادات سخيفة كثيرة مثل مضايقة المارة، التحرش بالنساء، ممارسة الصوت العالي.

هكذا اشتكي منهم أهل منطقة (الدويقة)، لكن ما كانوا يفعلونه ليلًا أسوأ بكثير.. تناول مخدرات، قَطع طُرق، خروج عن الوعي..

باختصار لم يبقَ شيء لم يفعله (برعي) ورجاله، سوي مُحاولة قَلب نظام الحكم، وهذا لم يكن مُستبعدًا بعد الثورة.

يذكر (طارق) جيدًا كيف انتقل إلي تلك المنطقة الشعبية الرخيصة، المناسبة لظروفه المادية حينها..

وكيف تعرف على (برعي) بلطجي المنطقة - شكليًّا فقط - عن بعد..

فهنا.. لم تكن رفاهية العزلة أو حتى التجاهل مُتاحة! وإلا انتظرتك قائمة من الاتهامات الطويلة.. أقلها إرهابي!

فالناس في تلك المناطق قد يقبلون منك ممارسة أي سلوك، إلا أن تكون غامضًا أو صامتًا..

لكن ما شَفع لـ (طارق) قليلًا كي يحظي ببعض الخصوصية القهرية، مهنته كطبيب، حافظ ذلك قليلًا على أن تظل المسافة بينه وبين سكان المنطقة مُحتملة.

لكنها كانت دائمًا مرشحة للانفجار في أي لحظة، خاصة مع ذلك الوغد (برعي).. فالاثنان من عالمين مختلفين تمامًا يصعب معهما التلاقي..

لكن الأحداث تتشابك أحيانًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساعة متأخرة من الليل..

(طارق) يجر قدميه ليصعد إلي غرفته فوق السطوح، يُمَنِّي نفسه ببعض الراحة، بعد يوم عمل شاق في تجهيز المركز.

دلف للعمارة.. فوجد (برعي) يجلس على سلالم المدخل، يُقطع أصابع الحشيش باحتراف وعناية مع رجاله..

- « بضاعة جيدة.. »

حاول (طارق) المرور في صمت، لكن (برعي) لمَحه بطرف عينه.. ابتسم دون اهتزاز قائلًا:

- « تفضل يا دكتور.. »

لم يجد (طارق) أمامه سوي ممارسة الاستخفاف بالأمر.. وإلا صار من الأعداء، رسم فوق شفتيه تلك الابتسامة السخيفة يردد:

- « وقت تاني.. »

وأكمل طريقه، نهض (برعي) يعترضه.. وهو يُدخن طُربيدًا في فمه..

- « مساء الخير.. »

وقدم له قطعة حشيش، كان (طارق) يعرف تمامًا ما في يده! لكن رغم ذلك سأله في سذاجة:

- « ما هذا؟ »

- « حشيش! أعرف أنكم تتعبون في العمل.. »

تجمد الموقف.. والكل ينظر له في بلاهة ينتظر الرد، ارتبك (طارق) للحظة.. قبل أن يأخذ منه قطعة المخدرات قائلًا:

- « هدية مقبولة يا معلم (برعي).. »

واستمر في الصعود دون أن يدري لماذا فعل هذا؟ كيف أصابه الخوف منهم لتلك الدرجة، عَلق (برعي) بتأثر:

- « مُحترم.. »

أضاف (فرخة) مسطولًا:

- « قطعة سكر.. فمنذ أتي للمنطقة لم نسمع له صوتًا.. »

صَفعه (برعي) على مؤخرة عنقه عابثًا.. فلم يشعر (فرخة) بأي ألم من كثرة المخدرات التي في دمه.. وهو يستطرد بنفس اللهجة:

- « طُول عمرك قلبك طيب يا معلم.. »

ضحك الجميع.. وعادوا لإتمام عملهم في حماس..

هكذا حَشر (برعي) نفسه في عالم (طارق)، في الوقت الذي كان فيه الأخير يستعد للرحيل عن (الدويقة) بشكل نهائي، ليقيم في المركز.. بعد أن قضي بها قرابة العام ونصف دون أن يشعر به أحد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التاسعة مساءً.. جلس (طارق) باستقبال مستشفي (المقطم) الحكومي - والذي كان ما زال يعمل به في تلك الأثناء - في توجس.

فمُعدل حالات اليوم كان أقل بكثير من المتوقع.. وهذا في عالم (طارق) لا يبشر بالخير!

لأن كل العاملين في قسم الطوارئ كانوا مُعتادين معه على سيناريو آخر تمامًا.. وهو سيل من الحالات التي لا تتوقف إلا برحمة من السماء.. أو عند رحيله!

أخذ التمريض ينظر لبعضه البعض في انتظار تلك الكارثة التي ستلون الأفق، لإحداث التوازن! فحتمًا لن تمر الأمور بتلك السهولة التي ينتظرونها.

- « ربنا يستر.. أكيد سيحدث شيء.. »

كان هذا هو لسان حالهم.. ابتسم (طارق) في سخرية.. وقرر الانسحاب.. والدخول للسكن كي يتخلص قليلًا من ذلك الهمس والإحساس بالترقب..

لكن بينما هو يفعل.. بدأت المَلحمة..

ظهر فجأة (عتمان) أحد أهم رجال (برعي)، يعوي غارقًا في دمائه.. ويحمله اثنان للاستقبال بملابسهما الداخلية..

تراجع رجال الأمن.. وفزع التمريض..

- « أين الدكتور؟ الرجل يموت! »

كادت رئيسة التمريض أن يتوقف قلبها من الخوف.. وهي تُشير نحو (طارق) القادم من الخلف..

- « هذا هو.. »

دخل (طارق) المشهد سريعًا.. فوجد سِنجة ([3]) تدفعه في ظهره حتى غرفة الجراحة، رقد (عتمان) على الطاولة يصرخ:

- « هيا.. اعمل حاجة.. »

انتفض (طارق) كأنه يمارس الطب للمرة الأولي، ثم نظر لأكثر واحد فيهم حملت عيناه الرغبة في التفاهم (بحر).. متسائلًا:

- « ما الذي حدث؟ »

أشار (فرخة) العصبي بالسنجة نحو (عتمان) الغارق في دمائه يردد:

- « ليس هذا وقت السؤال.. بعدين.. بعدييييين.. »

وكاد أن يلطم.. أمام ذلك الحماس الهستيري بدأ (طارق) الفحص، لكنه عاد يقول:

- « لا بد من معرفة ما حدث.. هذا سيساعد على التشخيص.. »

فاض الكيل بـ (فرخة).. وعروق رقبته تظهر..

- « يا أم الغباء.. لقد قلت لك بعدين.. »

تدخل (بحر) الأكثر حكمة وثباتًا انفعاليًّا:

- « ما الذي تريد معرفته يا دكتور؟ »

ارتبك (طارق) وهو يسأل سؤالًا سخيفًا:

- « هل تعرض للضرب على رأسه.. »

عاد (فرخة) يقول بسخرية هستيرية شديدة.. وهو يضع السنجة على كتفه:

- « ماذا تري سيادتك؟ »

نظر (طارق) نحو ملامح (عتمان) التي لم يستطع تمييزها من كثرة الدماء.. و (بحر) يضيف ببساطة:

- « لقد كانت مشاجرة عادية يا دكتور.. وآخر ما أذكره تلك الضربة التي تلقاها (عتمان) على رأسه.. »

أكمل (طارق) الفحص.. فوجد (عتمان) يعاني بشدة من أعراض ما بعد الارتجاج في المخ، بالإضافة لتشوه كبير بالوجه.. وجروح متفرقة في كل مكان.

تدخل (فرخة) يقول بلهجة العالِم بالأشياء:

- « نريد خياطة سحرية كي يعود وجهه كما كان بالضبط.. »

كاد (طارق) أن يستخدم إحدي عباراته الساخرة مثل:

- « أنا لست ساحرًا.. أو طبيب تجميل.. »

ولكن نظرة واحدة للسنجة المشهورة جعلته يتراجع.. فحتمًا ممارسة السخرية الآن أمر غير مأمون العواقب..

قال بهدوء حذر:

- « المشكلة ليست في جروح الوجه يا سيد (فرخة).. »

نظر له الجميع في ترقب.. وهو يستطرد بنفس اللهجة:

- « أعني.. لا بد من أشعة مقطعية على الرأس.. »

- « لماذا يا دكتور؟ »

(طارق) بحسم:

- « هناك اشتباه وجود نزيف داخلي بالمخ.. »

تجمد الموقف للحظة.. قبل أن تتسع عينا (فرخة) قائلًا بفزع:

- « نزيف بالمخ! واللَّه لو حصل أي حاجة لـ (عتمان) لأذبح الشارع كله.. »

تدخل (بحر) يحاول تهدئته:

- « ليس هذا وقته.. »

لم يستمع له (فرخة).. وأضاف في بكاء سيئ.. وهو يحتضن رأس (عتمان)، الذي كان قد فقد الوعي تمامًا، في لحظة إنسانية رائعة:

- « لن أتركك وحيدًا يا صاحبي.. »

ثم أخذ الزبد والمُخاط يتساقط من فمه وأنفه.. سأل (بحر) بهدوء:

- « والعمل يا دكتور؟ »

كان (طارق) يتابع الموقف.. وقد نجح في السيطرة على رغبته في الغثيان..

- « سأغلق الجروح وأعلق بعض المحاليل، بعد ذلك سأنقله لمستشفي الجامعة لاستكمال علاجه.. »

- « تمام يا دكتور.. »

بدأ (طارق) العمل كالصاروخ للخلاص منهم، لكن بعد مرور خمس دقائق بالضبط، اقتحم رجل عليهم الغرفة يلهث قائلًا:

- « (الخواجة) في الطريق.. »

رفع (فرخة) السنجة يردد بحماس:

- « جاء لنهايته.. »

استوقفه (بحر):

- « انتظر.. (الخواجة) لن يفعل ذلك، إلا لو كان معه رجال كثيرون.. »

التقت أعينهما في تفكير.. و (فرخة) يصرخ بِقلة حيلة وعصبية:

- « أين (برعي)؟ »

- « لا أعرف.. بعد المشاجرة اختفي.. وموبايله غير مُتاح.. »

وضع (فرخة) يده الملوثة بالدماء، على فمه ورأسه مثلما يفعل أي بلطجي متحمس.. يردد:

- « وبعدين؟ إيه الحل؟ »

تدخل (طارق) يسأل دون حذر:

- « مَنْ هذا الـ (الخواجة) يا سيد (فرخة)؟ »

انفجر الأخير بمزيد من العصبية:

- « اخرس.. »

انتفض (طارق) يتمتم:

- « حاضر.. »

ثم استكمل عمله بهدوء.. فقد كان في حالة تصالح تام مع نفسه، فيما يتعلق بقبول إهانة أي بلطجي مُتحمس دون اعتراض.. بعدما صار هذا - مع الانفلات الأمني - حقًّا مكتسبًا لهم.. فلا أحد سيحميه لو فعل!

اقترح عليهم (بحر):

- « ليس أمامكما سوي الخروج لمواجهته، على الأقل حتى يُنهي الدكتور عمله.. »

(فرخة):

- « وماذا لو اقتحم الطوارئ؟ »

عاد (طارق) يقول في تفكير.. كأنه لم يتلقَّ أي إهانة منذ ثوانٍ:

- « اطمئن.. سنغلق الباب من الداخل.. »

نَاسَب ذلك الاقتراح خلايا مخ (فرخة) التالفة.. قبل أن يسأل:

- « كم تحتاج من الوقت؟ »

(طارق) بحسم:

- « الحالة شارفت على النهاية.. »

عادت عينا (فرخة) تتسع بفزع.. وهو يمسكه من البالطو مردِدًا بغباء:

- « نهاية إيه؟ »

(طارق) بابتسامة ساخرة عصبية:

- « أقصد نهاية العمل طبعًا.. »

تركه (فرخة)..

- « لقد فَهِمت شيئًا آخر.. »

ثم استطرد بارتباك:

- « إنني أكره الأطباء..»

تنفس (طارق) الصعداء.. والرجال تتبادل النظرات المتوترة، قبل أن ينسحبوا للخارج كخط دفاع أول، لم يبقَ بالغرفة سوي (بحر) الذي أغلق الباب بالترابيس.. وعاد لـ (طارق) يساعده..

بعد لحظة صمت.. قال الأخير بحذر:

- « تبدو مختلفًا عنهم.. »

ابتسم (بحر) قائلًا.. وهو يناوله أداة جراحية:

- « لقد أتَممتُ تعليمي للصف الثالث الإعدادي.. »

- « عظيم.. لماذا لم تُكمل إذن؟ »

- « مات أبي وأمي في حادث.. »

اختفت ابتسامة (بحر).. وتلون وجهه بالكآبة.. فلم يجد (طارق) أمامه سوي تغيير دَفة الحديث:

- « ألن تُخبرني مَنْ هو الخواجة؟ أم أنه أمر داخلي؟ »

(بحر) ببساطة:

- « أبدًا يا دكتور.. (الخواجة) هو المنافس الوحيد لنا في السوق.. ومن أصاب (عتمان) بكل تلك الإصابات.. »

(طارق) بسخرية:

- « يبدو أنه يريد إنهاء مهمته.. »

هنا.. عاد (عتمان) للوعي فجأة ينتفض، استوقفه (طارق) مُحاولًا تهدئته:

- « لا داعي لهذا.. أنت في مستشفي.. وتحت العلاج.. »

نظر (عتمان) له ولـ (بحر) ثواني في فزع، قبل أن يُدرك ما يحدث..

الغريب أنه لم يهتز أو حتى يُبدي التوجع.. والإبرة الجراحية تتخلل جسده!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في طوارئ أي مستشفي حكومي، هناك دائمًا شخصان عصبيان، أحدهما يحاول أن يلعب دور الشرطي البطل، الذي ينتصر للدولة والمستشفي.. وهذا غالبًا ما ينتهي دوره إما بالهرب أو الضرب أو الشهادة.

والثاني هو البلطجي الذي يحاول اغتصاب حقوق الآخرين بلسان حال يقول:

- « أنا الأقوي وعليك احترامي.. »

كان فرد أمن المستشفي هو الوحيد المُؤهل للعب ذلك الدور الأول، لا لشيء سوي قدراته الجسدية الواضحة.

استجمع شجاعته.. وتَصدي لـ (فرخة) وبقية رجاله، قائلًا تلك العبارة السخيفة:

- « ممنوع حمل السلاح هنا.. »

نظر له (فرخة) في ذهول.. مردِدًا:

- « هل تعرف ماذا حدث لآخر شخص قال لي هذا الكلام؟ »

اقترب منه فرد الأمن يقول بلهجة تصعيدية:

- « لا.. »

رفع (فرخة) السنجة يُضيف:

- « ولن تعرف.. لأنه مفقود.. »

وكادت أن تفلت أعصابه.. ويهوي بها على رأس فرد الأمن، لولا أن صرخ فجأة أحد رجاله قائلًا.. وهو يُشير نحو بوابة المستشفي:

- « (الخواجة).. »

أزاح (فرخة) فرد الأمن من أمامه جانبًا.. ثم تحرك وخلفه رجاله، حتى التقي الجمعان عند مقدمة المستشفي في تحفز.

- « ماذا تريد يا (خواجة)؟ »

اشرأبت عنق الأخير للأمام.. مُقلدًا الممثل الراحل (محمود عبد العزيز) في فيلم (إبراهيم الأبيض) ([4]). بشكل سيئ:

- « (عتمان).. »

(فرخة):

- « تعرف أننا لن نُسلمه.. »

ابتسم الخواجة وهو يتطلع لكل رجاله.. قائلًا بسخرية مُخيفة:

- « وأنا حُكمي نَفَذ.. »

(فرخة) بتصعيد:

- « أصبحت تتحدث كثيرًا.. »

ران الصمت للحظة، قبل أن يلوح (الخواجة) بسنجته في الهواء.. قائلًا بغِل:

- « معك حق.. »

وبدأت المعركة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « إنها ليلة سوداء.. »

بدرت تلك العبارة من (طارق) بقلق شديد.. وهو يُتابع المذبحة التي بدأت في الخارج من نافذة الطوارئ..

- « والعمل؟ »

أجابه (بحر) بنفس القلق:

- « سيموت (عتمان).. لو نجح (الخواجة) في الوصول إلي هنا؟ »

- « هكذا ببساطة! »

- « نعم.. »

فكر (طارق) قليلًا.. ثم قال:

- « لا بد ألا ننتظره إذن.. »

ثم أسرع في فك فرامل سرير الطوارئ المتحرك..

- « ماذا تفعل؟ »

(طارق) بحسم:

- « سَنمنع هذا.. »

- « كيف؟ »

أخذ (طارق) يدفع سرير (عتمان) نحو مصعد الطعام الجانبي قائلًا:

- « سنحاول تضييع الوقت لحين وصول الأمن.. »

- « تقصد الشرطة؟ »

- « نعم.. »

استوقفه (بحر) يردد:

- « لن يقترب أحد طالما (الخواجة) هنا! »

(طارق) بعدم فهم:

- « لماذا؟ »

- « لأنهم يخافون منه.. »

لم يتقبل (طارق) الفكرة.. فمهما كان فساد الداخل، لن يصل الأمر أبدًا لأن نعيش في غابة، لذا استكمل دفع السرير للمصعد.. قائلًا بلهجة آمرة:

- « حاول أن تُخفيه في الدور الخامس.. »

(بحر):

- « وأنت؟ »

(طارق):

- « سأبقي هنا للتضليل.. »

انغلق باب المصعد.. وبدأ يتحرك فعلًا بـ (بحر) و (عتمان) نحو الدور الخامس، في حين عاد (طارق) بسرعة يتابع تطور الموقف.. فوجد (فرخة) قد سقط أرضًا تحت أقدام (الخواجة) مثل النعاج.. والأخير يضع السنجة على صدغه قائلًا في استمتاع:

- « الفراخ دائمًا تنتهي بالذبح.. »

انتشرت موجة من الضحك الهستيري وسط الرجال، قبل أن يستجمع (فرخة) بقايا شجاعته.. ويبصق بعض الدماء التي ملأت فمه في وجه (الخواجة)..

صَمتَ المشهد.. والأخير يمسح الدماء عن وجهه قائلًا بتوحش:

- « حلاوة روح.. »

ثم رفع السنجة بِغل ليشج رأسه، لكن قبل أن يفعل تسمرت يده في الهواء فجأة دون حركة!

استدار بمقاومة شديدة ليري مَنْ جَرُأ على مَسك يده بتلك القوة! حتى التقت الأعين وهو يستطرد بشراسة:

- « (برعي)؟ »

- « نعم أيها الجبان.. »

ثم هوي بسنجته يشج كتفًا وجزءًا من ذراع (الخواجة).. تسمر الجميع في صمت لثوانٍ.. قبل أن ينفجر المشهد من جديد.

نهض (فرخة) يصرخ بحماس.. معه كل الرجال الذين أحضرهم (برعي)، بهجوم مُضاد غَيَّرَ النهاية..

زحف (الخواجة) ينزف الدماء بغزارة، مُحاولًا الهرب، لكن (برعي) حاصره.. فلم يجد (الخواجة) أمامه سوي باب الطوارئ المفتوح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عند لحظة اقتحام طوارئ أي مستشفي حكومي، يصير الطبيب تحت الأحذية.. وقد تُكتب له الشهادة على يد بلطجي مُتحمس.

طبعًا بعد الموت ستكرمه النقابة.. وستقول عنه الدولة كم هي حزينة لفقده!

سيضع الأصدقاء صورة (طارق) على بروفايلات التواصل الاجتماعي لفترة قد تتجاوز الشهر.

وقد يتحمس البعض أكثر.. ويصنع له صفحة اسمها (كلنا الوغد طارق)، هذه أمور صارت مفهومة في مصر!

- « دكتور.. إنه قادم نحونا.. ماذا سنفعل؟ »

هكذا صرخت رئيسة التمريض بالهستيريا التي تُجيدها:

وقبل أن يُجيب كان (الخواجة) قد اقتحم الطوارئ.. وأغلق بوابتها الحديدية خلفه، هذه المرة وجد (طارق) السنجة فوق رقبته..

تراجع للخلف يردد:

- « لماذا العصبية؟ أنا أعزل كما تري.. »

ظل (الخواجة) يلوح بالسنجة حتى بدأ يترنح من كثرة الدماء التي يفقدها بغزارة، عاد (طارق) يستطرد:

- « لن تستمر كثيرًا هكذا.. دعني أعالجك.. »

خفض (الخواجة) السنجة.. ثم سار يترنح حتى أقرب طاولة جراحية.. ونام عليها.

(طارق):

- « هذا أفضل.. »

ثم أسرع في تضميد جروحه.. وتعويضه ببعض المحاليل، وعندما شارف على الانتهاء، وجد السنجة تعود لتُوضع على رقبته..

- « أين (عتمان)؟ »

كان (طارق) لا يريد جثثًا في الطوارئ، لكنه أمام تلك النظرات الجادة من (الخواجة) لم يستطع الكذب:

- « الدور الخامس.. »

نهض (الخواجة) يترنح دون تضييع ثانية يصعد السلالم، اندفع (طارق) يصرخ:

- « افتحوا الطوارئ.. »

دلف (برعي) ورجاله:

- « أين ذهب يا دكتور؟ »

- « الدور الخامس.. سيقتل (عتمان).. »

كاد (برعي) أن يلحق به، لولا أن استوقفه (طارق) عندما وجد مصعد الطعام يتحرك عائدًا للدور الأرضي، ترقبه الجميع بحذر حتى فتح الباب.. وظهر خلفه (بحر) و (عتمان) سائرًا على قدميه..

- « حمد الله على السلامة.. »

أضاف (بحر):

- « لولا الدكتور لكان (عتمان) الآن قد مات.. »

التفت (برعي) ينظر له في امتنان..

- « صار لك حق عندي.. »

لوح (طارق) بيديه في خجل كالأطفال.. قائلًا بشكل سيئ:

- « أنا لم أفعل شيئًا، المهم أن تنصرفوا الآن قبل أن يعود (الخواجة).. »

- « معك حق.. لنا منطقة تجمعنا.. »

وابتسم بطريقة تدعو للغثيان، قبل أن يختفي الجميع من الطوارئ..

طبعًا مشكلة (طارق) لم تكن مع (الخواجة)، الذي سيهبط بعد قليل بعدما يكتشف الخدعة..

مشكلته الحقيقية كانت مع (برعي) ورجاله!

فما حدث اليوم كان يعني أن (طارق) صار قريبًا أكثر من اللازم.. وهذا ما كان لا يريده منذ البداية..

فالقرب يعني معرفة المزيد من الأسرار، مما قد يستدعي التصفية لو قرر الابتعاد، فهُم حتمًا لن يثقوا كثيرًا في وعده.. بأنه لن يُخبر أحدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3 - قهوة شاهين..

بعد أحداث تلك الليلة الحماسية، قرر (طارق) عدم العودة لـ (الدويقة) مرة أخري.

دلف للمركز بهدوء.. قام بتحية (عثمان).. ثم صعد لغرفته التي لم يكن بها سوي كنبة صغيرة.

بدا الليل مُمِلًّا في المعادي، حاول فتح الشرفة، لكن قدوم تلك النسائم الباردة جعله يعدل عن الفكرة.

الأجواء تدفع للنوم.. وهو رغم تعبه الشديد لا يرغب في هذا الآن، كان في حاجة لممارسة أي شيء هُروبي، كي يتخلص من ذلك الإحساس السيئ الذي يتملكه.

هنا فجأة تسربت لأذنه تلك الضحكة! ضاقت عيناه في ترقب..

- « ما هذا؟ »

ثم خرج بهدوء يستطلع الأمر، الصوت يأتي من غرفة الإدارة، وصل إليها ببطء.. فوجد (حامد) يستغرق مُستمتعًا بالإنترنت، وسط سحب الدخان وأطنان الشاي.

كان هناك صفحة شَات (chat) كبيرة مفتوحة، تحتل شاشة الكمبيوتر الرئيسي للمكتب..

- « أَنتِ تكذبين.. »

- « لماذا؟ »

- « لأن هذه ليست صورتك.. »

الفتاة بعبث:

- « وكيف عرفت؟ »

مط (حامد) شفتيه باستياء:

- « لأني ببساطة أعرف صاحبة تلك الصورة شخصيًّا.. »

ضحكة أنثوية.. ثم سؤال يبدو كالاعتراف:

- « كانت زمِيلتك في المدرسة؟ »

- « يعني ليست صُورتك؟ »

ضحكة أنثوية أخري، قبل أن تقول بحسم:

- « نعم.. ليست صورتي.. »

عندئذ لمح (حامد) (طارق) يقف خلفه.. فنهض يقول في ارتباك:

- « دكتور.. أناااا.. أنا تصورت حضرتك سَتَبِيت في (الدويقة).. »

حاول (طارق) عدم الضحك.. وهو يقول بسخرية:

- « آه.. هذا ما جعلك تبقي إذن.. شاي.. قهوة.. إنترنت مجاني.. ومغفل لن يأتي سوي في الصباح.. »

- « العفو يا دكتور.. لا تقل هذا.. »

تعالي الصوت الأنثوي عبر السماعة المَفتوحة يردد:

- « إلي أين ذَهبت؟ ألو.. ألو.. »

همس (طارق) بنفس السخرية:

- « إنها تنتظرك.. »

استمر الصوت في إلحاحه.. فلم يجد (حامد) سبيلًا أمامه سوي سحب كابل البَوَر (power) لإخراسها..

- « آسف يا دكتور.. كُنت - فعلًا - أقوم ببعض التحديثات للبرامج، لكن يبدو أني نسيت نفسي قليلًا.. »

ثم أسرع يلم مخلفاته، أعقاب السجائر.. أكواب الشاي.. بقايا السندويتشات.. وهو يستطرد بخجل:

- « أعدك ألا يتكرر هذا.. »

أنهي ما يفعله سريعًا.. ثم حاول الفرار..

- « انتظر.. »

تسمر في موقعه بطريقة جعلت (طارق) يضحك هذه المرة..

- « هل تعرف مكان قهوة قريبة؟ »

ضاقت عينا (حامد) يستوضح:

- « تقصد حضرتك قهوة بلدي؟ »

- « نعم.. »

- « هناك كثير.. »

- « عظيم.. ما هي أقرب واحدة لنا؟ »

- « قهوة (شاهين).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان (طارق) يعرف جيدًا أنه يُفسد علاقته بـ (حامد)، الموظف والمدير يجلسان معًا على المقهي، ماذا تتوقعون؟

قهوة المعلم (شاهين) دائمًا مميزة، تفتح أبوابها أربعًا وعشرين ساعة.. تُقدم كل ما يخطر ببالك، من أول كوب الماء حتى المأكولات السريعة.

تأمل (طارق) المكان ذا الطابع الإسلامي في إعجاب، بينما يقوده (حامد) إلي أحد الأركان الهادئة قائلًا:

- « هنا تستطيع رؤية كل المقهي دون أن يلاحظك أحد.. »

كانت الأجواء مُعبأة برائحة شيشة التفاح الشهيرة، صوت موسيقي قديمة ينبعث في المكان، مصارعة المحترفين، ضرب الزهر.. وأصوات أخري كثيرة متداخلة تَشي بأن هناك حياة ما هنا..

جلس (طارق) يردد بسعادة:

- « تبدو قهوة قديمة.. »

- « نعم.. المعلم (شاهين) أسسها بنفسه على هذا الطابع، قبل أن يتوفي منذ زمن بعيد، أولاده الثلاثة الآن هُم مَنْ يُديرون.. »

نادي (حامد) على فتي القهوة بأعلى صوته:

- « (أمين).. تعالي شُوف الدكتور يشرب إيه.. »

هنا ترك غالبية مَنْ في المقهي ما يقومون به.. ونظروا إليهم بفضول، شعر (طارق) بالغيظ..

- « ماذا فعلت؟ »

- « إيه؟ »

(طارق) بمزيد من الغيظ:

- « أبدًا.. فقط أخبرت كل القهوة أنني طبيب.. »

(حامد) بعدم فهم:

- « وماذا في هذا؟ هل تخاف على سمعتك؟ »
- « لا طبعًا.. كل ما في الأمر ببساطة، أن الكل الآن سيكون له شكوي ما.. »
ضحك (حامد) لحظة حضور (أمين)، الذي أخذ يمسح المنضدة.. ويردد:
- « أهلًا أستاذ (حامد)، منذ زمن لم نرك، شرفتنا يا دكتور.. »
(طارق) بتحفظ:
- « أشكرك.. »
أنهي مسح المنضدة..
- « طلبات سعادتك؟ »
- « قهوة سكر زيادة.. وأي مشروب غازي.. »
- « وأنت يا أستاذ (حامد).. »
- « المُعتاد.. شيشة التفاح والشاي.. »
كاد (أمين) أن ينصرف.. ثم فجأة تسمر كأنه تذكر شيئًا ما..
- « ممكن استشارة يا دكتور؟ »
ولم ينتظر أي رد فعل! بل أسرع يستطرد وهو يُشير لمنطقة فُم المعدة:
- « هذا الجزء دائمًا به ألم وحَرقان شديد.. »
نظر (طارق) لـ (حامد) في غيظ بلسان حال يقول:
- « ما رأيك؟ »
هنا تدخل (حامد) لإنقاذه قائلًا:
- « اذهَب الآن يا (أمين).. الليل ما زال طويلًا.. »
غَمز له الأخير بعينه.. ثم قال:
- « ماشي يا صاحبي.. »
وانطلق يصيح:
- « وعندك واحد قهوة سكر زيادة وشيشة تفاح.. »
ضحك الاثنان متجاوزين الموقف.. قبل أن يُضيف (حامد) يَلوم نفسه:
- « أحيانًا أتصرف بعفوية تصل لحد الجرائم الاجتماعية.. »

(طارق) ببساطة:

- « إننا من نفس النوعية إذن.. »

ابتسم (حامد).. وهو يفحص سريعًا أحد إشعارات رسائل هاتفه الخلوي، فعَلق (طارق) يُداعبه:

- « أكيد نفس الفتاة؟ »

(حامد) ببساطة:

- « لا أبدًا.. هذه رسالة من صديق.. »

اعتدل (طارق).. ثم سأله بشيء من الجدية:

- « هل تعرفها في الواقع؟ »

- « لا.. الإنترنت أكثر أمانًا.. »

- « ما فائدة ذلك إذن؟ »

تنهد (حامد).. ثم أجاب بطريقة كوميدية:

- « تستطيع أن تعتبره نوعًا من التعويض.. فأنا فاشل مع الفتيات تمامًا في الواقع.. »

عاد الاثنان للضحك بشدة، قبل أن يتوقف (طارق) هامسًا كأنه سيذيع عليه سِرًّا:

- « هل تَعرف أنني لم أفعل هذا من قبل؟! »

- « تفعل ماذا؟ »

مط (طارق) شفتيه:

- « الحديث مع فتاة - لا أعرفها - عبر الإنترنت.. »

أَبدي (حامد) الدهشة:

- « غريبة.. »

هز (طارق) رأسه بطريقة كوميدية:

- « صدقني.. أنا حتى لم أهتم بالفكرة.. »

(حامد) مُحاولًا التبرير:

- « ربما ليس لديك وقت.. »

جاءت الشيشة والمشروبات.. واستمر الحديث بينهما والضحك حتى تجاوزت الساعة منتصف الليل.

عندئذ دلف للمكان شاب ضخم الجثة أصلع الرأس تمامًا، هنا أخذ (حامد) نفسًا عميقًا من الشيشة.. ثم اقترب يهمس لـ (طارق) بطريقة كوميدية:

- « لو قررت القدوم للقهوة ثانية، فلا بد أن تأخذ حذرك تمامًا مِنْ هذا الكابتن.. »

نظر (طارق) نحو ما يُشير..

- « من هذا؟ »

- « إنه (عباس).. أغبي أولاد المعلم (شاهين).. »

انطلق (طارق) يضحك بصعوبة.. و (حامد) يستطرد:

- « يُعاني من الفراغ.. وأشياء أخري نفسية كثيرة.. لذا يعطونه الإدارة الليلية لتجنب المشاكل.. »

أخذ (طارق) نفسًا عميقًا للسيطرة على نوبة الضحك الهستيري التي انتابته، قبل أن يسأل بتشبع:

- « كم الساعة الآن؟ »

- « الثانية عشرة.. »

رشف (طارق) ما بقي مِنْ مشروبه الغازي..

- « كِفاية.. »

- « ما زال الوقت مُبكرًا.. »

نهض (طارق) يدفع الحساب..

- « لدي عمل في الصباح.. »

- « أمرك يا دكتور.. »

وتحرك (حامد) ينتظره عند مدخل المقهي، لحظة مرور إحدي فتيات المنطقة.. والتي كانت ترتدي زيًّا رسميًّا أزرق..

- « أموت أنا وألعب في الترسانة.. »

بدرت فجأة تلك العبارة - شائعة الإستخدام - من شاب يجلس خارج المقهي، لحظة وصول (طارق) لـ (حامد) قائلًا:

- « هيا بنا.. »

لكن قبل أن يتحرك وَجَدَ يَدًا ثقيلة تُوضع على كتفه من الخلف.. وصوتًا يردد:

- « ما هذا يا مُحترم؟ »

استدار (طارق) ليجد شخصًا يفوقه نصف المتر طولًا ينتظره..

- « فيه إيه حضرتك؟ »

- « ألا تعرف فيه إيه يا أستاذ؟ لقد سَمِعتك بأذني.. »

يبدو أن تهمة التحرش قد التصقت بـ (طارق)، التفت نحو (حامد) كي يتدخل لإنقاذه فوجده ينظر للعصفورة..

- « ماذا سمعت؟ أنا لم أفعل شيئًا.. أكيد حضرتك فاهم الموقف غلط.. »

شد الرجل (طارق) من ياقة قميصه:

- « تعال هنا.. »

هنا تدخل (حامد)..

- « اتركه من فضلك.. »

- « ابعد يا حبيبي.. »

ودفعه بيده للخلف.. فبدأت الأجواء تتوتر..

تدخل أحد رواد المقهي الكبار في السن يسأل:

- « فيه إيه يا (عبد الفتاح)؟ »

- « الأفندي عاكس ابنتي (سحر) وهي عائدة من الشغل.. »

- « شباب قليل الأدب.. إنه الإنترنت اللعين الذي أفسدهم.. إتفووو.. »

عاد (حامد) يقول بعصبية:

- « الدكتور لم يفعل شيئًا.. إنه ذلك الـ .... »

والتفت يبحث خلفه عن الشاب الذي قال العبارة فلم يجده..

- « كان يجلس هنا الآن! »

بدأت القهوة تتجمع.. وبدأ (عباس) يهرش في صَلعته خلف النصبة..

- « دكتور؟ المهنة تلوثت بكم.. »

- « احترم نفسك.. »

تجاهله (عبد الفتاح).. وأسرع ينادي على ابنته التي كادت أن تصل إلي آخر الشارع.. حينئذ ساد الصمت المكان.. و (سحر) تنضم إليهم لاعبة دور الحَمل الوديع.

- « أنا سأرضي بِحُكمك يا معلم (عباس)، اسألها بنفسك.. »

تضخم الإحساس بالذات لدي (عباس).. والذي كان في احتاج شديد للعب أي دور في الحياة.. فاقترب يسألها مباشرةً:

- « أخبرينا يا (سحر).. هل عاكسك أحد هؤلاء؟.. »

كانت تعرف يقينًا مَنْ عَاكسها، لكنها أشارت لـ (طارق) في خجل، بدا حينها الأكثر وجاهة! فغدًا ستتشدق المنطقة كلها بالأمر.. وهي تريد زيادة سعرها.

- « كذابة.. أنا لم أفعل شيئًا.. »

تطاير الشرر من عيني (عباس).. وهو يمسك (طارق) بقسوة..

- « ليلتك سوداء.. »

تذكر (طارق) ما يحدث له منذ التاسعة.. فقال بسخرية لا تناسب الموقف:

- « أكثر من هذا؟ »

في تلك اللحظة شق الصف فجأة أحد مُخبري المنطقة.. والذي لا تعرف مِنْ أين أتي؟ أو مَنْ قام باستدعائه بتلك السرعة؟!

دلف ينظر للجميع بتلك النظرة الحكومية.. قائلًا بحزم:

- « البطاقة.. »

تسمر (طارق).. وأخذ يبحث عن أي هوية في جيبه.. فلم يجد..

- « ليست معي.. على العموم المنزل قريب.. وأستطيع أن... »

- « هذا الكلام تقوله في القسم يا حبيبي.. »

تدخل (عبد الفتاح) قائلًا بسعادة:

- « هذا أيضًا شريكه.. »

هتف (حامد) بفزع:

- « يا معلم (عباس).. مظلومون واللَّه.. »

انتشر الضحك بين رواد المقهي.. والمُخبر يجرهما إلي قسم الشرطة بتهمة التحرش بأنثي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4 - التخشيبة..

المشهد المعتاد لأي نقطة شرطة في مصر، حركة في كل اتجاه.. أمين شرطة عصبي نُوباتجي.. يسب ويلعن كل دقيقة.

دلف (الجرواني) يدفع (حامد) و (طارق) للاستقبال مردِدًا:

- « محضر تحرش.. »

قال (حامد) للمرة الألف:

- « نحن لم نفعل شيئًا.. »

تجاهله الأمين متمتمًا.. وهو يُنهي كتابة ورقة أمامه:

- « الرائد (حمزة) انصرف.. »

ارتسمت علامات الشماتة على وجه (الجرواني).. و (طارق) يسأله محاولًا السيطرة على أعصابه:

- « وماذا يعني هذا؟ »

ضاقت عينا الأمين قائلًا بتحفز:

- « يعني أنك سوف تبيت في التخشيبة حتى الصباح.. »

(حامد):

- « نحن لم نفعل شيئًا.. »

(طارق):

- « ممكن أستخدم التليفون.. »

رسم الأمين على وجهه تلك الابتسامة السخيفة.. قبل أن يقول بسخرية:

- « بمن ستتصل؟ مدير الأمن.. »

(طارق):

- « المحامي.. »

تغيرت لهجة (الجرواني) فجأة للتودد! بشكل غير مبرر قائلًا:

- « وماذا سيفعل لك المحامي الآن يا دكتور؟ إنها الواحدة بعد منتصف الليل..»

تجاوز (طارق) دهشته.. مردِّدًا بعصبية:

- « يجد لنا أي طريقة للخروج من هنا.. »

ازدادت ابتسامة الأمين سخافة وسخرية بعدما عرف أنه طبيب.. قبل أن يقول:

- « تفضل.. اتصل بمن تريد.. »

رفع (طارق) هاتفه المحمول يحاول الاتصال بمحاميه (فتحي)، لكن ظل الخط يعطي جرسًا دون استجابة..

عاد الأمين يردد باستمتاع:

- « هل تريد الاتصال بأحد آخر؟ »

اكتفي (طارق) بالصمت.. والأمين يضيف ببرود:

- « لا بد من تسليم تلك الهواتف المحمولة.. »

(طارق) بحدة:

- « لماذا؟ »

طرق الأمين المنضدة التي أمامه.. قائلًا بعصبية:

- « أوامر.. »

(طارق) بعناد:

- « لن أقوم بتسليمه.. »

اتسعت عينا الأمين في جزع.. وكاد أن يسب ويلعن، لولا أن أشار له (الجرواني) بأن يصمت.. وهو يقول برقة قلب مُفزعة:

- « التخشيبة تمتلئ بالنصابين واللصوص يا دكتور.. ونحن نخشي عليك من السرقة أو التعرض للضرب.. »

نظر له (طارق) بطريقة يصعب وصفها.. و (الجرواني) يربت على كتفه يستطرد:

- « أعطه الهاتف يا ابني.. وأنا أعدك باسترداده عند الإفراج إن شاء اللَّه.. »

لم يجد (طارق) أو (حامد) أمامهما سبيلًا سوي إطاعة الأوامر.. استلمهما منهما الأمين في ضجر.. يتمتم:

- « كان من الأول.. »

ثم ضغط زر استدعاء.. فدلف عليه عسكري ضخم الجثة يردد بصرامة:
- « تمام يا حضرة الأمين.. »
أشار لهم قائلًا:
- « ضعهم في التخشيبة حتى الصباح.. »
فزع (حامد) يردد.. وهو يحتمي في (الجرواني):
- « هل ستتركنا هكذا؟ أنت من المنطقة.. وتعرفني جيدًا.. »
هز (الجرواني) كتفيه بقلة حيلة.. قائلًا:
- « ليس بيدي شيء يا بني.. »
قال له العسكري بغلظة:
- « تفضل معي.. »
وبدأ يجره من ذراعه برفقة (طارق).. و (حامد) يتمتم:
- « أمين (جرواني).. أمين (جرواني).. »
لكن صوته سرعان ما تلاشي.. والعسكري يكاد يصل بهما إلي التخشيبة..
هنا.. أتي فجأة صوت (الجرواني) من خلفهم يردد:
- « انتظر يا (عتريس).. »
تسمر العسكري مكانه كالآلة..
- « اتركهما.. »
جري نحوه (حامد) يردد بلهفة:
- « كنت أعرف أنك لن تتركني.. »
قال (الجرواني) بتأثر يُجيده.. وهو يضع يديه على كتفيهما:
- « أنتم أولادي.. وأنا أشعر أنكم مظلومون.. »
ضاقت عينا (طارق) في شك.. و (حامد) يضيف بحماس:
- « وأنا طول عمري بقول إنك أفضل مخبر في المعادي.. »
- « حبيبي يا بني.. »
ثم اقترب يهمس لهما:

- « أنا أستطيع أن أجعلكما تقضيان ليلتكما في غرفة النوباتجية بدلًا من التخشيبة.. لكن تبقي مشكلة؟ »

(طارق) بحذر:

- « ما هي؟ »

لوح (الجرواني) بيديه قائلًا:

- « عامل النظافة.. لا بد أن تعطيه خمسمائة جنيه.. مقابل تنظيف الغرفة.. »

بهت وجه (حامد) قائلًا:

- « لكنني لا أملك هذا المبلغ الآن.. »

عادت ملامح (الجرواني) للصرامة.. وهو يقول:

- « كُنت أود مساعدتكما.. لكن ما باليد حيلة.. »

ثم غمز بعينه لـ (عتريس) الذي كان مستعدًّا لفتح الزنزانة.. ودفعهما بها.. وهو يقول بأعلى صوت:

- « تحرش.. »

انغلق باب التخشيبة سريعًا عليهما.. وران الصمت.. وكل تلك الوجوه تتأملهما باستياء.. وتحفز، حينئذ قال (طارق) بتركيز:

- « سأعطيه المال.. »

أسرع (حامد) يطل بوجهه من شباك باب الزنزانة الحديد يصرخ:

- « يا (جرواني).. (جرواني).. »

عاد الأخير يقول بدفء وحنان:

- « نعم يا ابني.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العاشرة صباحًا.. نقطة شرطة المعادي، الرائد (حمزة) يراجع يومياته ثم يصرخ:

- « أَدِخل إلي من عندك يا أمين.. »

- « تمام سيادتك.. لا يوجد سوي العِيال الذين أحضرهم (الجرواني) بالليل.. »

- « أدخلهم.. »

دقائق وكان (طارق) و (حامد) يقفان أمامه مُترنحين، رشف (حمزة) القهوة في تلذذ.. ثم تأملهما باستنكار قائلًا:

- « بصراحة.. أنا حزين من أجلكما.. شكلكم ولاد ناس محترمة.. »

حاول (طارق) الحديث:

- « لو تسمح سيادتك.. »

- « ماذا ستقول؟ التهمة لابساكم.. »

تدخل (حامد) يقول بسخرية:

- « هل أصبحت تُهمة.. »

- « نعم أيها الظريف.. التحرش بأنثي.. »

عاد (طارق):

- « يا فندم هناك خطأ.. اسمح لي فقط بتوضيح الموقف.. »

كان (حمزة) من الشخصيات العصبية.. قال بنفاد صبر:

- « تفضل.. »

هنا أسرع (طارق) بعبارات سريعة مختصرة.. يشرح ما جري، ضاقت عينا (حمزة) سائلًا (حامد):

- « ما رأيك في هذا الكلام أيها الظريف؟ هل تتفق معه؟ »

(حامد) بسرعة:

- « نعم يا فندم.. الموضوع بأكمله تهريج.. »

هنا.. تراجعت لهجة (حمزة) الحادة إلي اللين التام.. وهو يقول:

- « كل المصائب تبدأ بالتهريج يا (حامد).. »

ثم دعاهما إلي الجلوس، شعر الاثنان بالقلق من ذلك التحول المُفاجئ - غير المُبرر - في شخصيته! خاصة (طارق).. فهو يعرف جيدًا تلك الطريقة؟ حتمًا هو يدبر لهما الآن مصيبة ما!

ضغط الرائد زر استدعاء بمكتبه.. فدلف أمين شرطة يسألهما:

- « هل تريدان شرب شيء؟ »

هنا أصيب (طارق) بالرعب.. وكاد أن يطلب عودته إلي الزنزانة..

- « أشكرك.. »

قال (حمزة) يُنهي الموقف:

- « اثنين قهوة.. »

ثم أشعل سيجارة يستطرد:

- « أنت إذن صاحب مركز (أجزون) الذي تملأ إعلاناته المنطقة.. »

(طارق) بعصبية:

- « نعم.. »

في تلك اللحظة دلفت الفتاة بطلة قصة الأمس إلي المكتب تحمل ملف أوراق..

- « صباح الخير يا فندم.. »

- « تعالي يا (سحر).. »

التقط (حمزة) منها الملف.. ونظر إلي وجهيهما يردف باستمتاع:

- « الآنسة (سحر) أخصائي نفسي هنا في القسم.. ولولا أنها تنازلت عن المحضر لكنتما الآن في مشكلة.. »

كان هذا غير مفهوم بالنسبة لـ (طارق).. فمعني ذلك أن الرائد (حمزة) يعرف الحقيقة مبكرًا! ما المُبرر إذن لتلك المعاملة السيئة لهما منذ البداية؟ بل ما مُبرر كل القصة من بدايتها؟

لم يصل عقله لإجابة، سوي أن وَضع الناس تحت ضغط - ولو حتى كان لهم حق - صار جزءًا من سلوك ممارسة السلطة!

كانت (سحر) تتحاشي النظر إليهما، خاصة (طارق).. والذي انتظر حتى أنهي الرائد توقيع أوراقه.. ثم سألها:

- « هل تُصدقين حقًّا أنني مَنْ عَاكسك؟ »

- « لا.. »

(حامد) بعصبية:

- « تعترفين بذلك الآن! وبعد قضائنا لليلة كاملة في التخشيبة! »

أدارت وجهها تكتم ابتسامة:

- « آسفة.. لم أملك حينها سوي ما فعلت! »

(طارق):

- « إجابة غير مفهومة.. وغير مُرضية.. »

أشار لها (حمزة) بمغادرة المكتب.. ثم قال بحسم:

- « حصل خير يا دكتور.. »

كانت لهجته تُشير بوضوح إلي غلق الموضوع، ران الصمت واكتفي (طارق).. قبل أن ينهض قائلًا بحذر:

- « هل هناك شيء آخر ينتظرنا؟ »

الرائد ببساطة:

- « لا.. »

(حامد) بلهفة:

- « يعني نستطيع الانصراف؟ »

- « طبعًا في أي وقت.. لكن بعد تناول القهوة.. »

(طارق) بإرهاق.. وهو يمد يده مُصافحًا:

- « أرجو أن تعفيني سيادتك.. فأنا أريد النوم بشدة.. »

صافحه (حمزة) ببساطة قائلًا:

- « كما تريد.. لكن سيظل لك قهوة عندي.. »

- « هذا شرف كبير.. »

ظل (حمزة) يمسك يده.. قبل أن يقترب منه هامسًا:

- « بالمناسبة.. والدتي تعاني من مشكلة خشونة مُزمنة بالركبة، هل لها فرصة للعلاج عندك بالمركز؟ »

(طارق) بسرعة:

- « طبعًا يا (حمزة) بك، والدة سيادتك تستطيع أن تُشرفنا في أي وقت بعد الافتتاح، المركز كله تحت أمرها.. »

ازدادت حرارة المُصافحة بعد عبارة (طارق) الأخيرة، في اللحظة التي دلف فيها المحامي إلي المكتب وهو يصيح:

- « موكلي غير مسموح بحجزه أكثر من أربع وعشرين ساعة دون إذن النيابة العامة، أيضًا كل إجراءات الضبط غير سليمة و... »

بتر عبارته عندما شاهد المُصافحة.. والوجوه التي تتأمله في صمت، قبل أن يستطرد بطريقة كوميدية:

- « يبدو أنني تأخرت.. »

(حمزة) في تهكم:

- « كالعادة يا متر.. »

ثم ضغط زر الاستدعاء من جديد..

- « أفندم.. »

- « أين (الجرواني).. »

كان الأخير يقف وراء الباب.. والذي بمجرد أن سمع اسمه يتردد بالغرفة، دلف يُعظم بقوة قائلًا:

- « تمام سيادتك.. »

- « قُم بتوصيلهما لأي مكان يريدانه.. »

اعترض (حامد) بسخرية:

- « لا العفو.. يكفي تَعبه معنا أمس.. »

ضحك الجميع عدا (الجرواني).. الذي قال بخجل لا يَلِيق به:

- « مَنْ لا يَعرفك يجهلك.. »

هز (حامد) رأسه يتمتم بصوت غير مسموع:

- « آه يا بلد.. »

(الجرواني):

- « هل تقول شيئًا؟ »

- « أنا؟ لا أبدًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

انتهي وصف المناخ العام الذي كان يُحيط بـ (طارق) في تلك الفترة.. وحان وقت القصة..

رواية الليلة شائكة.. ونموذج واضح لقدرة الإنسان على خداع عقله!

سنعرف لماذا ينتحر هؤلاء الشباب في (سويسرا).. رغم توفر كل شيء لهم!

سنفهم بوضوح تلك المقولة التي تقول:

- « إذا لم تشغل وقتك وعقلك بالحق.. سيشغلك بالباطل.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أحداث ليلة قهوة (شاهين) إياها، مرت عدة أيام، قضاها (طارق) في العمل ليل نهار لتجهيز المركز..

لم يقترب من (الدويقة) مرة أخري، رغم أن كل أغراضه ما زالت هناك، لكنه قرر تأجيل نقلها لوقت لاحق..

بدأ الأمر صباح ذلك اليوم، قبل افتتاح المركز مباشرة.. كان يومًا عاديًّا لا يُبشر بشيء.. وفجأة اقتحم ذلك الشاب الصغير بوابة المركز، ينزف الدماء من مكان ما في صدره..

ارتمي على درجات السلالم الداخلية، يسعل بشدة.. وينظر للباب الخارجي بهلع.. نهض يترنح.. واستكمل طريقه إلي الداخل، كان (عبد السلام) فرد الأمن هو أول من استقبله قائلًا بفتور:

- « المركز لم يعمل بعد.. »

بَصق الشاب الدماء قائلًا في لهاث:

- « ساعدني أرجوك.. »

ثم سقط على الأرض، فزع (عبد السلام) عندما لاحظ كمية الدماء التي تُغرق صدره.. وأسرع ينادي على الدكتور (طارق) الذي حضر مُسرعًا، برفقة شريكه وزميله دكتور (شلبي)..

- « من أين أتي هذا؟ »

(عبد السلام):

- « لا أعرف.. لقد وجدته فجأة أمامي.. »

أسرع (شلبي) يفحصه قبل أن يقول بحسم:

- « مصاب بطلق ناري نافذ في الصدر.. »

كان الشاب ينتفض.. ويهذي ببعض الكلمات غير المفهومة:

- « لا بد من إيقافهم! »

لم يضع (طارق) ثانية أخري، فرغم عدم جاهزية المركز بشكل تام، أسرع في فتح غرفة استقبال الطوارئ.. وبدأ في نقل الشاب إليها..

حاول بعدها السيطرة على النزيف.. لكن الدماء كانت تتدفق بغزارة، ضاقت عينا (شلبي) قائلًا:

- « إننا نفقده.. »

استمر الشاب في الهذيان:

- « إنهم يسعون للسيطرة! التخريب! »

قام (طارق) بتركيب أنبوبة صدرية ومحاليل، لكن رغم هذا زحفت علامات الشحوب بإصرار على وجه الشاب البائس، من كثرة الدماء التي يفقدها..

- « القلب مصاب.. ويحتاج إلي نقل دم سريع.. »

- « والعمل.. »

أضاف (طارق) بعد لحظة تفكير:

- « لا بد من نقله إلي أقرب مستشفي.. »

وخرج يصرخ كي يتم تجهيز عربة الإسعاف الخاصة بالمركز، قابله (عثمان) يسأل ببلاهة ليس وقتها:

- « فيه إيه؟ »

لم يتلقَّ ردًّا.. و (عبد السلام) يقول بحماس:

- « لقد ذهب (عمران) لتجهيزها يا دكتور.. »

وبالفعل لم يكد ينهي عبارته، حتى وقفت عربة الإسعاف بسرعة أمام باب المركز.. وهبط منها الأخير يردد:

- « جاهز يا دكتور.. »

أسرع الجميع يتعاونون في نقل الشاب، دون ملاحظة تلك السيارة السوداء الحديثة.. التيِ وقفت على الجانب الآخر من الطريق.. يردد سائقها في برود:

- « ما زال حيًّا.. »

قال رفيق له، يجلس بجواره في توتر:

- « لقد أطلقت النار عليه بنفسي.. »

السائق بسخرية باردة:

- « لم تقتله رصاصتك.. »

المتوتر:

- « والعمل؟ »

اكتفي السائق بمراقبة ما يحدث دون تدخل، في اللحظة التي قفز فيها (شلبي) إلي عربة الإسعاف بجوار (طارق)، دون التفكير في أي جانب قانوني. كان كل ما يسيطر عليهما في تلك اللحظة هو إنقاذ ذلك الشاب.

- « (إستاسيوس)! »

إنها عبارات الشاب الذي ما زال يهذي.. ضاقت عينا (شلبي) محاولًا فهم ما يقول:

- « هذا الشاب لديه مشكلة نفسية.. »

سيطر (طارق) على غيظه قائلًا:

- « هذا الشاب يصارع الموت.. »

ثم حقنه ببعض الكورتيزون (corticosteroid) والدوبامين (dopamine)..[5]

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يجد (طارق) أمامه سوي ذلك المستشفي العسكري، كان هو الأقرب إلي المركز، اقتحم تلك البوابة الخارجية دون توقف..

فزع جندي الحراسة.. وأسرع يلحق به عند باب المستشفي.. والذي توقفت أمامه العربة.. قبل أن يهبط (طارق) صارخًا:

- « طلق ناري.. ويحتاج إلي نقل دم سريع.. »

كانت استجابة فريق الطوارئ - رغم دهشتهم - له سريعة حقًّا.. وتليق بسمعة المؤسسة العسكرية المصرية.

تري هل من حسن حظ ذلك الشاب وصوله لذلك المستشفي؟ أم من سوء حظ (طارق)؟

توقف جندي الحراسة عندما شاهد ما يحدث من ضجة.. ولم يجد أمامه سوي العودة إلي موقع خدمته في توتر، بينما دلف (طارق) و (شلبي) إلي غرفة الإنعاش القلبي للمساعدة في السيطرة على الحالة.

كان الشاب قد تحول في تلك اللحظة إلي الشحوب التام، لكنه رغم ذلك، لم يفقد الوعي! ظل ينتفض ويهذي بتلك الكلمات غير المترابطة!

تم عمل فصيلة لتجهيز نقل الدم.. وتعويضه بالمحاليل الثقيلة..

حتى شَخصت عيناه في سقف الغرفة فجأة.. وتوقف عن الانتفاض يردد:

- « إنه هنا أخيرًا! جاء لإنهاء معاناتي! »

ثم توقف قلبه.. بعدها انطلق صوت ذلك الجهاز اللعين يعلن ذلك.. فأسرع (طارق) ومن معه يحاولون إنعاشه لمدة ربع ساعة متواصلة دون جدوى.

صمت المشهد.. غادر الجميع الغرفة عدا (شلبي) الذي قال:

- « لقد أخبرتك أن لديه مشكلة نفسية.. »

قاوم (طارق) رغبته في الضحك، قبل أن تطفو شخصيته الهستيرية.. ويقترب من أُذن الجثة يهمس بمرارة ساخرة:

- « هذا ليس عدلًا على فكرة! لماذا تتعمدون دائمًا إثارة غيظي؟ ولا ترحلون في صمت، طالما قررتم ذلك.. لماذا كل هذا الضجيج.. وتلك العبارات السخيفة الغامضة - كل مرة - التي تُخلفونها وراءكم؟ »

ثم اعتدل يستطرد بنفس الخبال.. وهو يخلع قفازًا جلديًّا عن يده:

- « ماذا تتوقع الآن؟ أن تتوقف حياتي وأصاب بالجنون.. وأحاول حل لغز الكلمات التي قُلتها! اطمئن.. لن أفعل.. لن أتورط في عالمك ثانية واحدة.. وداعًا أيها الغريب.. »

وربت على كتف الشاب.. ثم شرع يبتعد.. وهو يمسح بعض الدماء المتناثرة عن وجهه، لكن فجأة اعترضته رتبة عسكرية باردة..

كان عقيدًا طبيبًا.. قال بصرامة:

- « هل أنتما من أتي بتلك الحالة؟ »

نظر (شلبي) إلي (طارق) الذي أجاب باستمتاع:

- « نعم.. »

- « تفضلا معي.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « إنه شهر (إبريل)، أعرفه جيدًا.. لن يمر هكذا بسلام دون خسائر.. »

تمتم بها (طارق).. وهو يخرج من المستشفي العسكري على ذمة ذلك التحقيق الذي لم ينتهِ.

صعد إلي سيارة الإسعاف مُستطردًا بسخرية عصبية:

- « يتعاملون معنا كأننا من قام بإطلاق الرصاص على ذلك الشاب! »

صعد (شلبي) يجلس بجواره.. قائلًا بعقلانية:

- « لو أنك مكانهم.. ستفكر بنفس الطريقة.. »

تحرك (عمران) بالسيارة عائدًا إلي المركز.. و (طارق) يُضيف باستنكار:

- « النيابة العامة هي من عليها التحقيق في الأمر.. أما نحن فخارج القصة.. »

- « عليهم أن يقتنعوا بذلك أولًا.. »

(طارق) بنفاد صبر:

- « فليذهبوا جميعًا إلي الجحيم.. »

ران الصمت لبعض الوقت.. قبل أن تضيق عينا (شلبي) متسائلًا:

- « هل تذكر تلك الكلمات التي رددها الشاب.. »

(طارق) باقتضاب.. وهو يتطلع إلي شوارع القاهرة:

- « لا.. ولا أريد أن أذكرها.. »

ابتسم (شلبي) قائلًا بحذر:

- « هل ستقول ذلك في التحقيق؟ »

عاد (طارق) ينظر إليه بانزعاج.. مرددًا:

- « أي تحقيق؟ »

(شلبي) بدهشة:

- « تحقيق النيابة العامة! »

قال (طارق) بسخرية:

- « أشعر أنك صرت تحلم بالأمر.. »

هز (شلبي) كتفيه.. مُجيبًا بجدية:

- « لا أبدًا.. فقط أريد أن تتوحد أقوالنا من الآن، كي لا نتعارض أمام النيابة.. فيتم تفسير ذلك على أنه ... »

قاطعه (طارق) بحسم.. وهو يلوح بيديه:

- « أرجوك.. اصمت يا (شلبي).. ودع هذا لحينه، فلربما لا يحدث شيء.. »

ابتسم (عمران) دون أن يلحظ أحد ذلك.. بينما تنهد (طارق) محاولًا أن ينسي الأمر، لكنه لم يستطع..

هناك شيء ما قد بدأ، لن ينتهي قريبًا..

إنه يعرف جيدًا ذلك الإحساس.. وتلك الرائحة..

رائحة الأوغاد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف ذلك الشاب ضئيل الجسد وسط دائرة سداسية مرسومة باللون الأسود، على أرض ردهة واسعه مظلمة، عدا تلك البقعة التي يقف بها.. تسلط عليها الضوء.

كان الأمر أشبه بالمحاكمة.. بعدما أحاط به من كل اتجاه، مجموعة من الأفراد مجهولة الملامح.. ارتدي كل منهم قناعًا فِضيًّا يخفي به وجهه!

تمامًا كما يتم الترويج له بالأفلام والمسلسلات الرخيصة..

كان الشاب يحاول التماسك قائلًا بلهجة ليست مصرية:

- « لقد مات.. »

صمت القائد الذي كان يجلس على كرسي مرتفع قليلًا.. ثم أضاف بصوت بارد جاف يليق بوضعه، كزعيم لهؤلاء الأوغاد:

- « لم يعد هذا مهمًّا الآن.. بعدما تسرب سر الأخوية على يديك! وهذا خطير.. »

أسرع الشاب يقول:

- « لا.. لم يحدث.. »

- « كيف عرفت؟ »

الشاب بارتباك:

- « لقد قتلته قبل أن يتكلم.. »

- « ماذا كان يفعل إذن في ذلك المركز العلاجي بعد قتله؟ »

ازداد ارتباك الشاب:

- « لم يفعل شيئًا.. لأنه كان في حالة يصعب معها الحديث.. »

القائد بحسم:

- « هل ظللت معه حتى النهاية كي تؤكد ذلك؟ »

حاول الشاب التماسك.. وهو يتأمل تلك الوجوه الباردة من حوله:

- « لا.. لكنني لم أقصد أن يحدث كل هذا.. كيف كُنت سأعرف نواياه؟ »

القائد بمزيد من الحسم:

- « أنت تعرف القواعد، الإهمال في الأخوية يساوي الخيانة.. وهذا (الجُوليارد) كان تحت تصرفك.. »

ثم أشار لبعض رجاله، الذين تقدموا لتطويق الشاب ضئيل الجسد.. ثم إرغامه على الخروج من القاعة وهو يصرخ:

- « لا.. لقد أخلصت للأخوية حتى النهاية.. أنا لا أستحق العقاب.. لا.. لاااا.. »

اختفي الصوت، عادت الإضاءة، قبل أن تنتهي طقوس المحاكمة.. وينتزع الجميع أقنعته وينصرفون للعبث في شيء ما!

تقدم القائد (أدولف) ([6]) ألماني الجنسية نحو بار صغير، يُعد لنفسه كأسًا من النبيذ الأحمر.. ويفكر في صمت.

احترم مساعده البارد (هيرمان) ([7]) ذلك.. وظل يقف على مقربة منه حتى قال:

- « لا بد من إغلاق ذلك الأمر سريعًا.. »

تقدم المساعد يقول بجمود:

- « نستطيع تصفية كل مَنْ اشترك في الأمر الليلة.. »

تجرع (أدولف) كأس النبيذ دون أدني تأثر.. ثم قال:

ً

- « ليس حلّا.. فالجثث الكثيرة تلفت الأنظار.. »

- « منذ متي ونحن نفكر بتلك الطريقة؟ »

ضاقت عينا (أدولف) وهو يضيف:

- « جهاز أمن الدولة المصري بدأ يقترب.. لذا لا بد أن نتحلي بالهدوء تلك الفترة حتى نُنهي مهمتنا، أو يصيبه الملل.. »

- « لا توجد قوة تستطيع إيقافنا.. »

(أدولف) بحزم:

- « أعرف.. لكن وقت الميلاد لم يحن بعد.. »

لحظة صمت.. قبل أن يضيف (هيرمان) بعدم اقتناع:

- « كما تأمر.. »

عاد (أدولف) يملأ كأسه قائلًا بتفكير:

- « أريد معرفة ما الذي حدث بالضبط مع ذلك الطبيب؟ وإلي أي مدي وصل الضرر؟ »

استمر (هيرمان) على صمته.. و (أدولف) يتجرع كأسه الثانية.. ثم يستطرد:

- « هل فتشتم جثته؟ »

- « هذا يحدث الآن.. »

- « مَنْ أرسلت؟ »

- « (إستاسيوس).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا تتوقف عن المحاولة.. فأنت لم تنهزم طالما لم تُغادر أرض المعركة، لأنه في اللحظة التي قد تعتقد فيها أنك خسرت، بعد العديد من المحاولات الفاشلة.. قد تدخر لك الأقدار في النهاية ما تستحقه..

لا تتوقف عن المحاولة.. مهما كان أملك ضعيفًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساد الهدوء.. وزحف الظلام على المستشفي العسكري، فخلت الساحة الأمامية لحرم المبني.. والتي لم يتواجد بها سوي عسكري مُجند بائس برفقة زميل له..

قال الأول بتوتر.. وهو ينظر لساعته:

- « لماذا تأخرت؟ »

أجابه الثاني بملل:

- « الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد.. »

الأول.. كأنه يستحضر شيئًا ما بداخله:

- « سأتحدث معها الليلة.. مهما كلفني الأمر.. »

ابتسم الثاني بسخرية:

- « أذكر أنني قد سمعت ذلك الحديث من قبل.. »

الأول بعناد:

- « ستري.. »

مرت بعدها عدة دقائق.. قبل أن تظهر تلك الفتاة.. هابطة من تاكسي، لكز المجند الثاني زميله.. مردِدًا باستمتاع:

- « ها هي.. »

كانت (هدي) إحدي فتيات التمريض العسكري، ممشوقة القوام.. متوسطة الطول.. تشع جمالًا وجاذبيةً بتنورتها العسكرية وحذائها ذي الكعب العالي..

مرت عليهما بخطوات ثابتة منتظمة.. تقول بروتينية:

- « مساء الخير.. »

الفرص سريعة المرور.. بطيئة العودة..

التقت عيناها بعيني المجند للحظة.. كانت كافية لأن تتسارع فيها نبضات قلبه.. يجف حلقه.. ويغيب عقله عن التركيز..

كل مرة يحدث له ذلك الأمر.. يأخذ القرار بالحديث معها.. ثم فجأة وعند رؤيتها يتلعثم.. ويفقد القدرة على النطق!

المشكلة أن (هدي) كانت تشعر بهذا، لكنها لم تكترث كثيرًا للأمر.. فهي لن تتحرك يومًا ناحية أي علاقة.. بعدما تعلمت مبكرًا أن من يريد شيئًا عليه أن يسعي له..

تحول وجه المجند للون الأحمر.. وهو يرد التحية قائلًا:

- « مساء الخير.. »

تجاوزتهما (هدي) وهي تبتسم.. قبل أن تختفي داخل المبني..

قال المجند الثاني بسخرية قاسية:

- « لماذا لم تتحدث معها؟ »

الأول بعذاب:

- « لا أعرف.. لا أعرف.. »

تنهد الثاني.. وعاد يقول:

- « لك المعذرة.. أنا أيضًا كلما رأيتها أشعر بالارتباك! إن ذلك الشخص الذي يقوم باختيار هؤلاء الفتيات.. يعرف جيدًا ماذا يفعل.. »

في تلك اللحظة هبط (إستاسيوس) من تلك السيارة السوداء الحديثة.. وسار نحو المستشفي برفقة رجل قصير..

استقبلهما المجند قائلًا بصرامة:

- « خيرًا؟ »

أجابه القصير.. وهو يُشير لـ (إستاسيوس):

- « هذا سائح ألماني.. وأنا مرشده السياحي.. فجأة شعر ببعض الألم في رأسه.. نريد أن نطمئن عليه.. ونعطيه أي مسكن لحين عرضه على طبيبه الخاص.. »

تأمل المجند السائح ضخم الجثة.. وهو لا يصدق أن ذلك الكائن قد يشعر بالمرض مثلما يشعر به الآخرون!

- « هذا ممنوع.. المستشفي لا تخص المدنيين.. »

القصير بتملق:

- « أعرف.. لكنه سائح مهم.. واقتضت الظروف تواجده هنا الآن.. »

تدخل المجند الثاني يقول بحسم:

- « ثواني أعرض الأمر على الطبيب المناوب.. »

واتصل عن طريق هوائي برتبة داخلية.. فسمحت بدخوله.. أفسح المجند المجال لـ (إستاسيوس) بالمرور.. مرددًا:

- « هو فقط من سيدخل.. »

- « كيف ستتفاهمون معه؟ »

- « هل يُجيد الإنجليزية؟ »

- « نعم.. »

- « ذلك يكفي.. »

تراجع المرشد يقول ببساطة:

- « تحت أمرك.. »

لو كُنت ممن ينسون تلك الأسماء الطويلة مثل (إستاسيوس).. فذلك الوغد الصامت، كان طويل القامة.. قوي البنية.. يحمل ملامح قاسية.. ويرتدي جاكت جلد أسود.. ويعقص شعره للخلف على شكل ذيل حصان..

أعتقد أنك الآن سوف تتذكره جيدًا، فأنت لا تري مثل ذلك الكائن كثيرًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدلت (هدي) ملابسها.. وبدأت تُشرف على الدور الأرضي الخاص بالطوارئ، حتى سمعت الطبيب المناوب يستوقفها قائلًا:

- « هناك سائح ألماني سيدخل الآن، أرجو استقباله.. وإحضاره لغرفة الكشف.. »

- « حاضر يا دكتور.. »

تحرك الطبيب لإحدي غرف العيادات الخارجية.. بينما انتظرت (هدي) حتى ظهر (إستاسيوس)..

لم تندهش من هيئته أو حتى جسده الضخم.. بل أعطته أفضل ابتسامة لديها.. ثم قالت بإنجليزية جيدة:

- « من هنا.. »

تبعها (إستاسيوس).. وهو يتأمل كل شيء في صمت، حتى وصل إلي غرفة الكشف، استقبله الطبيب مردداً:

- « تفضل.. »

غادرت (هدي) الغرفة؛ لتكمل إشرافها، بينما جلس الطبيب أمام السائح يستطرد:

- « ما الذي تعاني منه؟ »

ضاقت عينا السائح مردداً:

- « في الحقيقة لا شيء.. »

قالها بالألمانية.. فلم يفهم الطبيب حرفًا..

- « عفوًا.. ماذا قلت؟ »

نهض (إستاسيوس) فجأة.. وشهر في وجهه سلاحًا أبيض صغيرًا متسائلًا ببرود.. لكن بالإنجليزية هذه المرة:

- « أين طريق المشرحة؟ »

ضاقت عينا الطبيب.. وهو يتراجع إلي الخلف بحذر:

- « من أنت؟ وماذا تريد بالضبط؟ »

لم يضع (إستاسيوس) الوقت.. فقد هجم على الطبيب بسرعة.. ولوي ذراعه بشكل مؤلم.. قبل أن يُعيد السؤال بلهجة أكثر شراسة:

- « أين طريق المشرحة؟ »

قاوم الطبيب لثوانٍ.. لكنه أمام الضغط أجابه:

- « في آخر ذلك الممر.. ناحية اليمين.. لكنك ترتكب حماقة كبيرة.. هذا مستشفي عسكري.. ولن يغفروا العبث معهم.. »

خف (إستاسيوس) الضغط على ذراعه.. ومسك رقبته بطريقة فنية لثوانٍ معدودة، سقط بعدها الطبيب تحت قدميه فاقدًا للوعي..

جره (إستاسيوس) ليُخفيه تحت أحد الأسرة.. ثم ارتدي معطفه.. وخرج ليسير بجرأة في الممر الرئيسي للدور الأرضي..

خلا الممر تمامًا من أي أحد.. لدرجة أنه وصل إلي هدفه في أقل من دقيقة!

دلف إلي المشرحة دون تردد وأغلق الباب خلفه.. بعدها أخرج ضوءًا خافتًا.. وبدأ يفتح العيون..

لم يستغرق الأمر الكثير من الوقت..

ففي العين الخامسة عثر على جثة الشاب، حملها بسرعة.. ووضعها فوق الطاولة الرئيسية للمكان.. ثم أخذ يفتشها بدقة شديدة.

لم يعثر على شيء معها..

هنا انتقل مباشرة للخطوة الثانية التي أتي من أجلها.. أخرج مبضعًا حادًّا.. وانكفأ على الجثة يُنهي مهمته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طرقت (هدي) باب العيادة الخارجية بهدوء.. ثم دلفت تردد:

- « سيادة العميد يطلبك يا دكتور.. »

لكنها لم تجد الدكتور.. ولا أي أحد بالغرفة.. زوت ما بين حاجبيها في دهشة تستطرد:

- « غريبة! أين ذهبا؟ »

جال بخاطرها أن يكون الطبيب قد اصطحب المريض إلي إحدي غرف الأشعة بالدور الثاني.. فنفضت الأمر عن خاطرها.. وخرجت.

لكن فجأة لمحت المصعد يقف في مكانه.. عادت الدهشة تُصيبها..

- « أين ذهبا إذن؟ »

كانت غرفة العيادة الخارجية، ما زالت مفتوحة.. فسمعت تلك الحركة الطفيفة..

اتسعت عيناها.. وعادت تدلف بحذر.. تسترق السمع، لم يصل إلي أذنها شيء.. لدرجة أنها كادت تغلق باب الغرفة وتنصرف..

لكن فجأة.. عاد الصوت بقوة..

اقتحمت الغرفة.. فوجدت الطبيب يطل برأسه من تحت السرير مردِدًا بصعوبة:

- « المشرحة.. السائح! »

لم تكن (هدي) في احتياج للمزيد كي تفهم الأمر، اندفعت إلي غرفة العميد لإخباره.. لكنها لم تجده.. مع أنها قد تركته هنا منذ ثوانٍ!

أصابها الارتباك للحظة.. ثم قررت ذلك بغباء..

عادت تندفع مُستهدفة المشرحة، وقفت أمام الباب تلتقط أنفاسها.. ثم بجرأة لا تُصيب الرجال في مواقف مشابهة.. فتحت الباب..

كانت تتوقع أن تري شيئًا.. لكنها للأسف.. بمجرد أن حركت الباب قليلًا نحو الداخل..

شعرت بنفسها تطير في هواء الغرفة.. وترتطم بعيون المشرحة..

أطلقت تلك الصرخة.. وحاولت السقوط على الأرض بطريقة صحيحة، لكن جزءًا من رأسها ارتطم بالأرض..

أصابها الدوار.. وسكنت مكانها باستسلام.. تُراقب (إستاسيوس) الذي أخرج من جيبه سريعًا قابسًا معدنيًّا.. وشرع في وضعه بفتحة الكهرباء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فجأة قال مجند الحراسة الأول:

- « هل سمعت هذا؟ »

الثاني بترقب:

- « نعم.. صوت صرخة.. »

حمل المجند الأول سلاحه.. وانطلق نحو المستشفي يتمتم بقلق:

- « إنه صوت (هدي)! »

صرخ الثاني:

- « إلي أين أيها المجنون؟ »

لم يُعره الأول أي اهتمام.. وانطلق بسرعة الصاروخ يدلف للمستشفي، استقبلته إحدي فتيات التمريض.. فسألها بجرأة:

- « من أين أتي هذا الصوت؟ »

أشارت قائلة بخوف:

- « المشرحة.. »

بدأ العاملون في المكان في التجمع.. والمجند يهرول في الممر حتى لا ح باب المشرحة المفتوح..

لكن فجأة.. خرجت تلك الشرارات.. وانقطعت الكهرباء..

لم يُوقف ذلك المجند.. شهر سلاحه.. وكاد أن يقتحم المشرحة، لكنه تلقي تلك الضربة.. التي أطاحت به.. وبسلاحه جانبًا..

شعر المجند بالغضب.. ودون تردد.. ودون رؤية مكان منافسه.. هجم عليه محاولًا ضربه..

لكنه تلقي لكمة في وجهه أصابت أنفه، دمعت عيناه.. وسقط على الأرض..

شعر أن منافسه يمر عليه - قاصدًا الهرب - فأمسكه من قدمه بكلتا يديه صارخًا، سقط (إستاسيوس) على الأرض..

في اللحظة التي نهض فيها المجند.. وبدأت تظهر بعض إضاءة الهواتف المحمولة، مسح الدماء التي سالت من أنفه.. وهو يتبين خصمه مرددًا:

- « إنه أنت! »

ظهرت (هدي) على باب غرفة المشرحة تترنح.. فلم يتردد المجند ثانية واحدة.. وطار في الهواء ليهبط فوق جسد (إستاسيوس) الذي كان يحاول النهوض.

لم يقاوم الأخير.. وترك المجند يضربه تلك الضربات المتتالية.. حتى أصيب المجند بالإرهاق..

عندئذ نظر له (إستاسيوس) بسخرية.. بلسان حال يقول:

- « هل اكتفيت؟ »

ثم حمله كطفل صغير.. وقذف به فارتطم بجسد (هدي) الرقيق.

سقط الاثنان فاقدين للوعي.. وكل منهما يستند على الآخر بشكل رومانسي، لم تتعمد إخراجه سوي الأقدار!

والتي فيما يبدو أنها قد قررت أخيرًا أن تجمعهما!

قبل أن ينهض (إستاسيوس).. ويخلع عنه البالطو.. ويطيح بكل مَنْ يقابله بضربة واحدة.. حتى غادر المستشفي في هدوء مستفز..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة بعد منتصف الليل..

جلس العميد (شريف) بمكتبه في مباحث أمن الدولة المصرية، يراجع باهتمام شديد ذلك الملف الضخم، على إضاءة خافتة.. ورائحة السجائر والقهوة تملأ الأجواء.

طرق الباب بهدوء..

انتظر ثواني قبل أن يقول بشرود.. دون أن يرفع عينيه عن الملف:

- « ادخل.. »

دلف مساعده (مدحت) يجلس.. قبل أن يردد بإرهاق:

- « هناك جثة ثالثة ظهرت.. »

أطفأ العميد (شريف) السيجارة التي بيده.. قائلًا باهتمام:

- « أين؟ »

- « مستشفي المعادي العسكري.. »

العميد متسائلًا من جديد:

- « متي حدث الأمر؟ »

مط (مدحت) شفتيه مُجيبًا:

- « لا أعرف تحديدًا.. المعلومة وصلتني توًّا ... »

نهض العميد يرتدي جاكت بدلته.. قائلًا بحماس:

- « هيا بنا إذن.. »

الرائد (مدحت) باعتراض:

- « الفجر اقترب.. ونحن هنا منذ الصباح.. هل نستطيع أن نؤجل ذلك إلي الغد؟ »

دار العميد (شريف) حول المكتب يردد بحسم:

- « هيا أيها الرائد.. واطلب من المستشفي ألا يلمس أحد الجثة سوي رجال مباحث المكتب.. »

استسلم (مدحت) قائلًا:

- « لقد فعلت هذا فعلًا.. »

وسار خلفه إلي موقع الأحداث..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استقبل الرائد (حمزة) بشرطة المعادي، العميد (شريف) ومساعده على باب المستشفي العسكري وهو يردد:

- « أهلًا يا فندم.. »

تجاهله (شريف).. وهو يتأمل العناصر الأمنية المنتشرة في المكان متسائلًا:

- « لماذا كل هذا التواجد الأمني؟ »

ارتبك (حمزة).. قائلًا:

- « لتأمين سيادتك يا فندم.. »

ابتسم الرائد (مدحت) من حالة الارتباك التي عليها رائد الشرطة.. قبل أن يقول العميد (شريف) بحزم:

- « اصرف كل هذه العناصر فورًا أيها الرائد.. لا نريد لفت الأنظار.. »

- « حاضر يا فندم.. »

وأسرع ينفذ رغبته.. قبل أن يدلف العميد إلي المستشفي يتساءل:

- « هل وصل طبيبنا الشرعي؟ »

أجابه (مدحت).. وهو ينظر لساعته:

- « في الداخل منذ حوالي ثلث ساعة.. »

كان العميد (شريف) يحمل هيبة ما، تجعل الآخرين ينفذون رغبته دون نقاش، ربما هي الجدية والصرامة التي يُصر عليها.. أو ربما حبه للعمل.. أو حتى ملامحه الوسيمة الغامضة..

المهم أن من يقف أمامه دائمًا ما يُصاب بالارتباك.. ولا يملك سوي تنفيذ أوامره! وإعطائه الثقة..

دلف العميد إلي المستشفي.. فاستقبلته بعض الرتب الطبية العسكرية بفتور، قبل أن يشق طريقه ويدلف إلي المشرحة..

كان الطبيب الشرعي في مكتبه يكاد ينهي عمله:

- « مرحبًا سيادة العميد.. »

تجاهل التحية.. ووقف يشبك أصابعه خلف ظهره متسائلًا:

- « ما تقريرك المِبدئي؟ »

تنهد الطبيب قائلًا بحسم.. وهو يشير إلي الجثة:

- « نفس الطريقة! ونفس الشخص! »

العميد:

- « امممم.. ما سبب الوفاة هذه المرة؟ »

- « طلق ناري نافذ بالصدر.. »

- « هل تستطيع تحديد هويته؟ »

هز الطبيب رأسه بيأس:

- « سيكون ذلك صعبًا بعد ما حدث للجثة.. »

تدخل (مدحت).. وهو يتأمل الجثة باستياء:

- « إنه قاتل متسلسل.. مريض نفسيًّا.. »

نظر إليه العميد وهو يفكر:

- « تلك الجرائم غريبة على مجتمعنا.. »

(مدحت) بحيرة:

- « أنا لا أجد لها حلًّا سوي هذا.. »

تحرك العميد يقترب من الجثة.. قائلًا بمزيد من التفكير:

- « ولماذا لا يكون كل هذا محاولة من القاتل، كي لا نعرف هوية ضحاياه.. وأن سبب القتل بعيد عن المرض النفسي! »

الطبيب:

- « احتمال.. »

عاد العميد يقول بعد لحظة صمت:

- « هل تستطيع تحديد جنسية الشخص.. أنت تعرف أن كل شعب له بصمة جينية متقاربة.. »

أصابت الحيرة الطبيب.. قبل أن يسأل:

- « إنها فكرة جيدة.. ولكن بِمَ يفيد هذا؟ »

أشار العميد لوشم تنين على كتف الجثة.. قائلًا:

- « أشعر أن هذا الشخص ليس مصريًّا، أيضًا على الأقل سنبحث في قائمة أي أحد مُغترب مفقود.. »

أومأ الطبيب برأسه قائلًا:

- « لكن هذا سيأخذ بعض الوقت.. »

- « أمامك ثلاثة أيام.. »

اكتفي الطبيب بالصمت.. وشرع يغلق كيسًا كبيرًا على الجثة، التي تم سلخ رأسها ويديها تمامًا من الجلد، لطمس هويتها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المشاعر تُستهلك كالأشياء، فما أن تُنهي جرعتك العاطفية - التي هي كل رصيدك - حتى تصير ذلك الكائن الباهت.. المُستَنزف.. غير القادر على الحب.. أو حتى التفاعل معه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح عادي جدًّا.. بعد يومين من تلك الأحداث..

وقف (طارق) في شرفة غرفته بالدور الثالث للفيلا.. والتي كانت خالية تمامًا من أي أثاث، بعدما تم افتتاح مركز (أجزون) أمس دون ضجة..

يرمق الشارع.. و (عثمان) الذي جلس أمام البوابة، يبرم شاربه كلما طَلت عليه جارته (اعتماد) في الفيلا المقابلة..

كانت المرأة فعلًا.. يعجبها الأمر.. حتى وإن أبدت عكس هذا..

كانت تتعلل كل فترة بفعل بشيء ما في الحديقة أو البلكونة.. طالما أن (عثمان) يحرس البوابة..

لتتبادل معه تلك النظرات المفعمة بالترفع والتجاهل.. والمشاكسة أحيانًا..

ابتسم (طارق) قائلًا:

- « يبدو أنك مظلوم يا (عثمان)! »

ثم تركه.. وعاد يتأمل السكون والأشجار.. ويتنسم رائحة الزهور الآتية من كل الحدائق المجاورة..

كان (طارق) يكره بشدة تلك الفترة من العام.. بسبب مشاعره!

- « لماذا لا تتزوج يا ابني؟ أنت فتي وسيم وشاب.. وألف من تتمناك.. تزوج.. فالجميع يتزوج في النهاية.. »

كانت تلك العبارة ترددها أمه على مسامعه باستمرار دون ملل..

المشكلة أن (طارق) لم يكن يريد الزواج للزواج.. أو لمجرد أن أمه تطلب ذلك.

كان يريد الزواج عندما يجد مَنْ تُقنعه بفكرة الزواج..

وهذا حدث له مرة واحدة أثناء الكلية.. كانت تجربة قاسية.. لم يعرف بعدها فتاة أخري..

ليس بسبب التعقيد النفسي أو الضعف.. أو ما قد يجول بخاطرك من أسباب أخري..

السبب الحقيقي هو أن (طارق) قد فتح باب مشاعره مبكرًا..

مبكرًا جدًّا!!

فهو كان دائم البحث - في حياته - عن فتاة ما يُحبها.. ولو في صمت!

الحب كان وسيلة هروبه الأولي لتلطيف واقعه.. فقد كان يكفي تواجدها في مكان قريب؛ ليشعر بالسعادة..

عَرف ذلك منذ الصف الأول الابتدائي..

وعندما كانت ترحل الحبيبة لأي سبب.. أو حتى تأتي إجازة آخر العام، كان يتحول لذلك الكائن العصبي الحزين.. حتى تحل محلها فتاة أخري.

كان يعشق إحساس الحب ذاته.. لكن مع الفتاة المناسبة..

ظل يمارس هذا في صمت إلي أن وصل إلي المرحلة الثانوية.. وظهرت أول فتاة حقيقية عاصفة في حياته..

كانت أكثر منه نضجًا وخبرة.. رغم تساويها معه في العمر!

اندفع نحوها.. وكانت المحصلة النهائية.. الشعور بالألم.. وبداية تغير تضاريسه النفسية نحو الأسوأ..

استهلكت تلك العلاقة جزءًا مُحتملًا من جرعته العاطفية والنفسية..

كان اسمها (شيماء).. ربما قد أروي لك تلك القصة يومًا.. فتلك الفتاة تستحق عن جدارة لقب وغد..

المهم.. عاد (طارق) ليجلس تحت الشجرة يبكي.. مُقررًا بانفعال عدم معرفة أي فتاة أخري، حتى دخل كلية الطب البشري..

وهناك تعرف على تلك الفتاة الأخري.. والتي استنزفت تمامًا كل ما تبقي من جرعته العاطفية..

فصار خرقة بالية.. لا تصلح لشيء سوي التحطيم!!

لم يعد يصلح للحب أو المشاعر..

هل جربت يومًا تذوق شيء أكثر من اللازم لدرجة التخمة.. لدرجة فقدان طعمه، هذا ما حدث لـ (طارق) بالضبط..

لذلك قرر الابتعاد لفترة.. لتهدأ مشاعره، فالإسراف في استخدام أي شيء.. يفقدك قيمة هذا الشيء..

لكن الفترة طالت.. طالت لدرجة القلق!

فقرر العودة لاختبار مشاعره.. وحتى ينفي أنه لم يعد صالحًا، كان يريد أن يعرف.. هل ما زال بداخله قلب ينبض أم لا؟

فاكتشف أنه تحول لذلك الوغد العقلاني البارد!

فبعد أن كان يسعي للحفاظ على علاقاته.. أصبح هو مَنْ يغادر أولًا.. ومحترف تدمير علاقات..

كان يفضل الانسحاب قبل أن يزيد الضرر.. كم تكرر ذلك كثيرًا! حتى تحولت حياته إلي موكب طويل من العلاقات المُحَطمة!

هنا قرر التوقف.. والرحيل إلي الأبد.. لم يعد الأمر يستحق معاناة الاختبار!

ذهب إلي العالم الوحيد الذي يعرفه.. ويشعر معه بالارتياح والأمان.. عالم العقل.. وقيادة المشاعر..

حتى مر الوقت.. وأصبح على تلك القوة..

لكن.. رغم ذلك الثبات العاطفي الذي صار عليه، كانت مشاعره تَعِل عليه في ذلك الشهر (إبريل)..

إنه دائمًا ما يذكرها لأسباب عجز عن فهمها..

حتى صار (إبريل) يذكره بلعنة تصيبه كل عام.. كم يكره ذلك الشهر! وكم يكره تَنسُّم تلك الروائح التي ارتبطت به!

حتى الأماكن..

تري ماذا سيفعل لو وجدها أمامه؟!

حتمًا لا شيء!

لأنها لم تعد تلك الفتاة التي عرفها يومًا.. وهو لم يعد ذلك الساذج (طارق)..

لذلك كان يفضل العزلة، كي لا يظلم فتاة مسكينة أخري! سيشعر معها بمشاعر مؤقتة في بداية الربيع.. ويغادرها في (أغسطس)!

كيف يخرج من تلك الحلقة؟

قال له (شلبي) يومًا.. بعدما نظر له تلك النظرة.. وهرش في صلعته:

- « أنت في احتاج إلي عاصفة؛ لتقتلعك.. فما تعرضت له مع تلك الفتاة يشبه الموجة العالية، التي كي تطمسها.. وتمحو تأثيرها.. لا بد من موجة أخري أشد قسوة.. »

وهذا لم يحدث له حتى الآن..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فجأة دلفت تلك الفتاة لطوارئ مركز (أجزون)..

كانت فتاة أقل ما يناسبها من وصف هو السحر.. لكن ليس سحر الجمال فقط ما أعني!

بل هناك شيء ما غامض يُحيط بها.. يجذبك دون أن تشعر!

تشع روحها بريقًا.. فيصبح كل طموحك أن تبقي هنا بجوارها دقائق!

مُصَدِّرة للسعادة دون أن تتفوه بكلمة!

أيضًا.. مُصدِّرة للوعة والحزن..

فهي قادرة على كسر قلبك لو تحدثت.. حتى ولو لم يكن لك طموح فيها!

تُؤرق واقعك في صمت.. وتجعلك غير راضٍ!

تُذكرك أن هناك شيئًا ما قد فاتك دون تعويض!

تنتزع من داخلك القناعة دون أن تشعر!

باختصار كانت لعنة لا بد أن تُصيبك مهما حاولت الهرب!

والبطل الحقيقي هو من يملك قدرة البقاء للنهاية برفقتها دون خسائر..

اقتربت الفتاة من (عبد السلام) تردد بهدوء:

- « مساء الخير.. أنا من المعادي.. وجدي مريض ولا أستطيع نقله للعلاج.. هل من الممكن كشف منزلي؟ »

كان (عبد السلام) يعرف القواعد جيدًا.. وهو أن المركز لا يستقبل سوي الحالات الحرجة فقط.. ولا يقدم خدمة الكشف المنزلي..

رفع وجهه.. وكاد يقول هذا.. لكنه عند رؤيتها توقف.. لم يملك القدرة على الرفض، تسمر يزدرد لعابه متمتمًا:

- « ثواني.. وسأعود إلي حضرتك.. »

وأخذ قلبه يدق بشدة.. وهو يهرول إلي غرفة في نهاية الدور الأرضي.. قبل أن يقتحمها قائلًا:

- « حالة يا دكتور.. »

(شلبي) بروتينية:

- « دعها تدخل.. »

ارتبك (عبد السلام):

- « إنها لا تريد الكشف.. »

ضاقت عينا (شلبي).. قبل أن ينظر له بطريقة كوميدية متسائلًا بسخرية:

- « ماذا تفعل هنا إذن؟ »

(عبد السلام) في تلعثم:

- « أقصد أنها برفقة حالة.. »

لم يفهم (شلبي) منه شيئًا.. وهو يمط شفتيه قائلًا:

- « تقصد أن الحالة معها حالة.. »

(عبد السلام) بغباء:

- « نعم.. »

- « دعهم يدخلون.. »

(عبد السلام) في بلاهة:

- « الحالة ليست هنا.. »

تجمد الموقف.. ونهض (شلبي) يضيق عينيه أكثر.. ويضع يده على جبهة (عبد السلام) قائلًا باهتمام:

- « أنت مريض؟ »

- « لا.. »

صرخ في وجهه:

- « ماذا بك إذن؟ »

فتح (عبد السلام) الباب.. وأشار إلي الفتاة التي تقف في استقبال الطوارئ تنتظر عودته.. قائلًا بهدوء:

- « تلك الفتاة تريد طبيبًا يذهب معها للكشف على جدها في المنزل.. وأنت تعرف أوامر دكتور (طارق).. »

تأملها (شلبي) بعمق.. ففهم ما أصاب (عبد السلام).. الذي عاد يقول:

- « ماذا أقول لها؟ »

أجابه (شلبي) على الفور:

- « أخبرها أن تنتظر قليلًا.. »

تهللت أسارير (عبد السلام) قائلًا.. وهو يعود إلي الفتاة:

- « هكذا يكون العمل.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وضع (طارق) عينيه في بعض الأوراق التي أمامه.. قبل أن يدلف إليه (شلبي) قائلًا:

- « هناك حالة تريد كشفًا منزليًّا.. »

- « تعرف أن تلك الخدمة غير متاحة هنا.. »

جلس (شلبي) يقول بلا مبالاة:

- « أعرف لكنني لم أستطع أن أخبر تلك الفتاة بذلك.. »

رفع (طارق) عينيه عن الأوراق.. مرددًا:

- « لماذا؟ »

(شلبي) بجدية مستفزة:

- « لأنها من النوع الذي لا يقوي أحد على رفض طلب له! »

زوي (طارق) ما بين حاجبيه.. قائلًا باستنكار ساخر:

- « نعم.. »

(شلبي) بطريقة العالم النفسي:

- « الموضوع أعقد من الشرح.. ولن تفهمه بشكل واضح.. إلا لو قمت أنت لتخبر الحالة بذلك.. »

طبعًا لم يفهم (طارق) منه شيئًا.. لكنه حصل على اهتمامه..

- « حسنًا.. »

ثم سار برفقته إلي الطوارئ.. حتى شاهدها..

إنها الطلة الأولي التي تدفعك إلي الصمت والدهشة معًا! والتي تعرف معها أن هناك شيئًا غامضًا سيربطك بذلك الشخص!

فتجد تصرفاتك تأخذ مسارًا مختلفًا، يتعارض مع طبيعتك.. وقراراتك المُسبقة..

تسمر (طارق) عن بُعد يهمس:

- « من هذه؟ »

نظر له (شلبي) في دراسة:

- « لا أعرف.. لكنها تصلح.. »

(طارق) بحيرة:

- « تصلح لماذا؟ »

- « أن تختبر معها مشاعرك.. »

تنهد (طارق):

- « ما زلت لا تنسي ذلك الأمر! »

- « إنها فرصة مناسبة لا تضيعها.. »

تأملها (طارق) بقلق.. قبل أن يحاول التراجع إلي مكتبه مرددًا:

- « لا.. لن أكرر ذلك العبث.. اذهب واصرفها.. »

استوقفه (شلبي) متمتمًا بتحدٍّ:

- « إذا كُنت قويًّا فعلًا كما تدعي.. أريد أن أري مهارتك في الرفض.. »

ثم دفعه بقوة نحو الفتاة.. فدخل - رغم إرادته - في مجال رؤيتها.. ثم تأثيرها!

التقت الأعين.. فانتقل (طارق) من مرحلة القرار الانفعالي المُسبق بالرفض.. إلي الصمت.. ثم الاقتراب مع رسم تلك الابتسامة السخيفة على وجهه..

- « مساء الخير.. »

الفتاة برقة متناهية.. قادرة على سحق إرادة أي رجل:

- « مساء الخير دكتور.. »

ومدت يدها تصافحه.. وهي تضيف بثقة:

- « تستطيع أن تناديني بـ (أركان).. »

صافحها (طارق) ببساطة.. مقاومًا تلك الرغبة من المشاعر التي بدأت تنمو بداخله، لكن دون جدوي..

يبدو أن هناك مأساة أخري تنتظره!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أوقفت (أركان) ([8]) عربتها الصغيرة الـ (ميني كوبر) أمام ذلك المنزل البسيط المكون من طابقين.. قبل أن توقف محركها.. وتهبط قائلة:

- « تفضل يا دكتور.. »

كانت لهجتها غريبة نوعًا ما.. ولا تُشبه لهجة المصريات التي يعرفهن..

دلف (طارق) يتأمل المكان بإعجاب.. مُردِدًا:

- « أنا أقيم في المعادي منذ عام تقريبًا.. ولم أمُر يومًا من هنا.. رغم أن المسافة بيننا ليست بعيدة! »

اكتفت (أركان) بالابتسامة.. وهي تسبقه إلي حديقة صغيرة جدًّا، لا أحد يعتني بها.. ثم دور أرضي عتيق الأثاث.. وسلالم داخلية خشبية..

- « من هنا يا دكتور.. »

صعد (طارق) خلفها السلالم ببطء، كان يبدو عليهم الثراء.. كأنك فجأة دخلت فيلمًا كلاسيكيًّا قديمًا..

كان (طارق) ما زال غير مُقتنع بما يفعل.. وظل عقله يردد بإلحاح:

- « ماذا تفعل هنا؟ كيف صرت تافهًا وسطحيًّا إلي تلك الدرجة؟ »

إنه لم يحمل من قبل نية مُسبقة بالرحيل، تجاه أي علاقة دخل بها.. كان ينسحب فورًا لو شعر بذلك..

لماذا يفعل هذا الآن وهو يعرف يقينًا أنه لن يكون هناك علاقة مُستقبلية تجمعه بتلك الفتاة؟..

ليس - حتمًا - بسبب أنها قد تبدو لك من النظرة الأولي فتاة عابثة.. صعبة الإرضاء.. أو حتى القيادة..

ولكن لأنها تنتمي إلي مجتمع بعيد كل البعد عنه.. شريحة لم يستطع (طارق) يومًا التفاهم مع أفرادها..

لماذا هو هنا إذن؟

لماذا صار لا يمتلك رفاهية التجاهل؟ مثلما يفعل كل مرة؟

هل هو الفضول؟ الاستكشاف؟ التحدي؟

لماذا تنتابه تلك الحالة من الارتباك؟ وعدم وضوح الرؤية؟

ربما هذا ما جعله يقترب.. فمع القرب تظهر التجاعيد.. وتري الحقيقة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فجأة وصل (طارق) إلي غرفة النوم.. التي ينام فيها جدها، اقتربت تهمس.. وهي تمسح بعض حبات العرق عن جبهته:

- « جدي.. جدي.. »

فتح الأخير عينيه ببطء.. يتطلع لعينيها مُبتسمًا.. كان محمومًا.. ويسعل بشدة..

قالت بقلق:

- « دكتور؟ »

وضع (طارق) حقيبته.. قائلًا بجدية:

- « أرجو فتح الشباك.. »

استجابت لرغبته.. وتم تجديد هواء الغرفة.. قبل أن يقترب (طارق) من الجد، ويشرع في فحصه جيدًا..

قال في النهاية:

- « إنه مصاب بنزلة شعبية حادة.. ستتطلب نقله إلي المستشفي.. »

اقتربت منه تهمس.. وهي تزيح شعرها الطويل الأسود الناعم للخلف:

- « جدي يكره المستشفيات بشدة.. ومستحيل أن يوافق على هذا.. أيضًا هو قعيد كما تري.. وسيصعب نقله.. »

وقع (طارق) أسيرًا لعينيها.. قائلًا بتماسك:

- « سيحتاج إلي جلسات أكسجين كل ثماني ساعات على الأقل لمدة أسبوع.. ومحاليل.. ومضادات حيوية.. وهذا يصعب فعله هنا.. »

قالت برقة قادرة على سحق أي رجل:

- « أقدر هذا.. لكن هل من الممكن أن تساعدني.. وأنا مستعدة لكافة التكاليف؟.. »

(طارق) بإحراج:

- « إنها ليست مسألة مال.. بقدر ما هي رعاية.. لا بد أن يبقي أحد بجواره لمدة أسبوع على الأقل.. »

أسرعت تقول:

- « أعدك أن أوفر أحدًا للرعاية وتنفيذ الدواء، لكن متابعة تطور الحالة.. لن يستطيع أحد القيام به سوي حضرتك.. »

شعر (طارق) بالاستفزاز من استخدامها لكلمة حضرتك.. كان ذلك غير مُبرر، وربما هذا ما جعله يقول:

- « أوافق.. سأقوم بزيارته يوميًّا.. »

ابتسمت (أركان) في رضا.. قبل أن تغادر الغرفة برفقة (طارق) قائلة ببساطة:

- « أشكرك.. لكن هناك شيئًا في تاريخ جدي المرضي، لا بد أن تعرفه.. »

- « ما هو؟ »

سارت معه حتى توقفت عند شرفة زجاجية كبيرة.. قائلة:

- « جدي لديه ورم سرطاني بالرأس وسيرحل قريبًا.. »

صمت (طارق) لحظة يستوعب المعلومة.. وهي تستطرد ببساطة:

- « كل أطباء الخارج أجمعوا على أنه لن يتحمل إجراء جراحة.. »

- « أنا آسف لسماع ذلك.. »

ابتسمت قائلة:

- « جدي قوي.. وعاش حياته للنهاية.. »

كاد (طارق) أن يقول شيئًا.. لولا أن دلف عليهم فجأة رجل بارد ضخم الشارب، يحمل معه بعض أكياس الطعام.. قائلًا:

- « كيف حال (شوكت) بك؟ »

أجابته (أركان) ببساطة:

- « بخير.. ضع تلك الأشياء في المطبخ.. وتعالَ لشراء الدواء.. »

- « حاضر سيدتي.. »

استوقفته:

- « آه.. نسيت أن أقدم لك دكتور (طارق).. سيشرف على علاج جدي طيلة الأسبوع القادم.. »

اكتفي الرجل بإيماءة باردة من رأسه.. ثم انصرف وهو ينظر لـ (طارق) بعداء غير مُبرر.

لاحظت (أركان) ذلك.. فابتسمت قائلة:

- « إنه (عزام) خادم جدي وصديقه، هو دائمًا ما يبدو جافًّا في تصرفاته.. لكنه طيب القلب.. »

عندما اصطفت الأسماء التي سمعها (طارق) منذ قدومه لهذا المنزل، شعر فجأة أنه دخل مسلسلًا تركيًّا لم ينقصه سوي ظهور تلك المرأة القصيرة كستنائية الشعر.. لتسأل عن (فيروز) خان..

قاوم (طارق) رغبته في السخرية بسبب المريض.. وجلس يكتب وصفة طبية طويلة.. أخذتها منه (أركان).. قائلة بابتسامة مُشجعة:

- « ماذا تحب أن تشرب؟ »

(طارق) بتحفظ:

- « وقت آخر.. »

غادرته تردد بمرح.. لا يتناسب مع الحالة النفسية التي من المفروض أن تكون عليها في تلك الظروف:

- « سأحضر لك شيئًا مميزًا، حتى يأتي (عزام) بالدواء.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرت ربع ساعة تقريبًا.. قضاها (طارق) في تأمل كل شيء حوله بدهشة، خاصة تلك الصور الكثيرة على الحائط، غرق فيها لدرجة أنه لم يشعر بتلك الخطوات الخافتة.. التي أتت من خلفه!

كان يتطلع في تلك اللحظة لصورة تخص (أركان) فوق قمة جبل ما..

- « هل تعجبك الصورة لتلك الدرجة؟ »

انتفض (طارق).. واستدار يتطلع إليها قائلًا بإحراج:

- « أنا آسف.. »

وضعت (أركان) كوبين من عصير غريب بنفسجي الشكل فوق منضدة منخفضة، قبل أن تقول بتلقائية:

- «إنها جبال (القوقاز) ([9]).. حيث يوجد قصر أبي.. »

بدت (أركان) مختلفة تمامًا - كأنها تحولت إلي شخص آخر - بعدما ارتدت تلك التنورة القصيرة التي أظهرت ساقيها.. وعقصت شعرها للخلف.

أصاب الارتباك (طارق) من رؤيتها بهذا الشكل.. قائلًا بدهشة مفتعلة:

- « كُنت أشعر أنك غير مصرية!! »

ضحكت ضحكة قصيرة.. وهي تجلس قائلة:

- « لا.. مصرية.. تركية.. »

وقدمت له العصير..

- « جدي فقط هو تركي الأصل.. »

ذاق (طارق) العصير بنفسجي الشكل بحذر.. فلم يرق له..

- « ما هذا؟ »

ابتسمت تهمس كأنها تذيع سرًّا:

- « إنه الـ (سيزارب).. أقوي مشروب أمريكي.. »

- « لم أسمع عنه من قبل.. مِم يتكون؟ »

تناولت بعضًا من عصيرها.. قائلة بتشجيع:

- « كريز.. وعنب.. وخليط من فواكه أمريكا اللاتينية، اشربه حتى آخر قطرة.. سيُحسن حالتك المزاجية تمامًا.. »

ثم تجرعت جزءًا آخر من العصير.. حاول (طارق) تذوقه مرة أخري، لكنه بالكاد استطاع بلع القليل منه.. قبل أن يُعيد الكوب للمنضدة متسائلًا:

- « لقد تأخر (عزام).. »

- « لا تقلق الصيدلية قريبة.. هل وراءك أي التزامات؟ »

كان مركز (أجزون) لا يعمل تقريبًا.. بسبب تمسك (طارق) بشرط عدم استقبال حالات.. إلا التي تحمل الطابع الحرج فقط.

لكنه رغم ذلك ادعي أنه مشغول.. قائلًا:

- « نعم.. »

قالت بلهجة دلال تُجيد استخدامها:

- « أنا آسفة على تضييع وقتك.. لكني لا أملك غيرك الآن.. »

عاش (طارق) يخاف من الشخصيات الودودة بشكل مفاجئ.. خاصة تلك التي تَعرَّف عليها حديثًا.. لهذا كان أسلوب القرب الزائد الذي تتحدث به (أركان)

معه غير مُبَرر.. ويدعو للقلق..

إنها تتحدث معه.. كما لو كانت تعرفه منذ سنين!

ربما تعودت الحصول على أهدافها، تحت غطاء تأثير جمالها.. فصار ذلك جزءًا من سلوكها اللاإرادي..

وهي - حقًّا - كانت جميلة.. وتُجيد استخدام هذا..

لكن (طارق) حاول الهرب من ذلك الإحساس الذي كان يتملكه، كلما تحدثت بتلك الطريقة.. قائلًا:

- « لقد لاحظت وجود كتب كثيرة في الاقتصاد.. »

نظرت نحو مكتبتها تُضيف بعمق:

- « أنا طالبة في الجامعة الأمريكية.. إدارة أعمال.. آخر سنة.. »

رفع (طارق) حاجبيه بدهشة حقيقية.. متمتمًا:

- « حقًّا.. لقد تصورتك ... »

ثم صمت بإحراج.. انتبه فجأة إلي أنه كان سيقول شيئًا غير لائق.. لكنها استنتجت بقية العبارة.. قائلة ببساطة:

- « فتاة سطحية.. أليس كذلك؟ »

قال (طارق) بسرعة.. مُحاولًا تحسين الموقف:

- « لا أبدًا.. كل ما في الأمر أن تخصص إدارة الأعمال شاق بطبعه.. ويحتاج إلي مجهود كبير في الدراسة.. وأنت ... »

صمت مرة أخري.. فأضافت وهي تضحك بشدة:

- « لا يليق بي الأمر.. »

لم يجد (طارق) سبيلًا أمامه للخروج من ذلك الموقف، سوي مشاركتها الضحك.. لحظة دخول (عزام):

- « الدواء.. »

ووضع أمامه كيسًا كبيرًا.. نهضت (أركان) تضيف:

- « شكرًا يا (عزام).. »

أومأ برأسه.. ثم انصرف وهو ما زال يرمق (طارق) بنظرات العداء!

انتظر الأخير حتى غاب (عزام) من أمامه.. ثم قال بلهجة سخرية.. لا يعلم كيف تملكته فجأة:

- « هذا الرجل يكرهني.. »

عادت (أركان) تضحك..

- « لماذا تقول هذا؟ »

أشار (طارق).. قائلًا بمزيد من السخرية غير المُبررة:

- « ألم تشاهدي كيف ينظر إلي؟ »

تأملته قائلة:

- « أشعر أن حالتك المزاجية قد تحسنت.. صح؟ »

وضع (طارق) يده على رأسه يردد:

- « فعلًا.. »

هزت (أركان) رأسها.. قائلة:

- « الفضل يعود للعصير الذي رفضت تناوله.. »

زوي (طارق) ما بين حاجبيه.. كأنه انتبه لذلك الآن فقط.. أمسك كوب العصير قائلًا بدهشة:

- « لكني لم أشرب منه سوي القليل! »

- « ما بالك إذن لو شربته كله؟ »

تناول (طارق) بقيته بشكل كوميدي.. وهو يسأل:

- « قلتِ ما اسمه؟ »

(أركان) بثقة:

- « (سيزارب) ... »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9 - استدعاء..

العاشرة مساءً.. جلس العميد (شريف) بغرفة عرض مظلمة، يشاهد تلك الفيديوهات التي تم تفريغها من المستشفي العسكري لليوم الثاني على التوالي دون أن يخرج بشيء..

أشار للعرض أن يتوقف.. ثم قال:

- « هذا الرجل إما محترف.. أو مختل تمامًا.. »

سأله المساعد (مدحت):

- « لماذا تقول هذا سيادتك؟ »

اعتدل العميد يُضيف:

- « لا أحد يمتلك القدرة على اقتحام مستشفي عسكري، ويفعل بها كل هذا.. في توقيت ذروة عملها، إلا لو كان يحمل أعصابًا فولاذية.. أو مختلًّا عقليًّا وتستخدمه إحدي الجهات.. »

فكر (مدحت) في كلامه..

- « وسيادتك تميل إلي أي تفسير؟ »

نهض العميد يفكر..

- « لا أعرف.. »

(مدحت):

- « الغريب أن ملامحه تبدو أجنبية تمامًا.. ورغم استعلامنا عنه في كل موانى (مصر)، لم نرصد دخوله.. »

صمت العميد (شريف) لحظة يفكر.. ثم قال:

- « غالبًا دخل (مصر) بوجه آخر.. وهذا يرجح أن له ملفًّا دوليًّا.. هل استعلمت عنه في الإنتربول؟ »

- « نقوم بهذا الآن.. »

العميد:

- « أين تقرير الطب الشرعي؟ »

- « سيكون بين يدي سيادتك غدًا.. »

العميد بعدم رضا:

- « حاول استعجاله.. نحن نتحرك في الظلام! »

هز (مدحت) رأسه.. قائلًا بضيق:

- « أعرف.. لكننا حقًّا لا نملك شيئًا! »

- « الوقت يمر.. ولا بد من ظهور طرف خيط سريع نتحرك من خلاله.. »

ران الصمت بينهما للحظة.. قبل أن تضيق عينا (مدحت).. قائلًا:

- « (طارق عبد الملك)! »

العميد باهتمام:

- « من هذا؟ »

- « طبيب المعادي.. والذي كان يحاول إنقاذ الضحية الأخيرة.. فقام بتوصيلها إلي المستشفي العسكري.. »

العميد بعدم حماس:

- « لقد قرأت التحقيق الذي أجراه معه المستشفي.. ولا يوجد به شيء.. »

(مدحت):

- « المستشفي لن يُحقق معه مثلما نفعل نحن.. »

- « هل تعتقد أن لديه شيئًا؟ »

- « مَنْ يعرف؟ ربما يقول كلمة تفتح مجال البحث.. »

العميد (شريف) بتفكير:

- « حسنًا.. لكن بدون إزعاج أو حتى ضغط، نريد أن نعيد ثقة الناس في الجهاز.. »

- « مفهوم سيادتك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صداع شديد اكتنف رأس (طارق) وهو يفتح عينيه بصعوبة.. صداع غير مُعتاد، ربما بسبب تلك البهجة الزائفة التي تملكته ليلة أمس دون مبرر!

كان نائمًا بغرفة المكتب.. نهض مُترنحًا يحاول البحث عن أي مسكن في درج المكتب.. فلم يجد.. تمتم بسخرية:

- « مركز للطوارئ.. ولا يوجد بدرج مكتب مديره مسكن! »

وجد نفسه يضحك على عبارته.. في اللحظة التي دقت فيها الساعة الحادية عشرة ظهرًا..

اتسعت عيناه في دهشة! كيف نام كل هذا الوقت؟!

فجأة.. دلف (عثمان) يقول بقلق:

- « هناك مَنْ يُريدك؟ »

(طارق) بعصبية:

- « كم مرة طلبت منك أن تطرق الباب قبل دخولك؟! »

اقترب (عثمان) يضيف:

- « ليس هذا مهمًّا الآن.. المهم أن تهبط لمقابلتهم بسرعة.. »

ضاقت عينا (طارق) للحظة.. متسائلًا:

- « مَنْ؟ »

كاد (عثمان) أن يُجيبه.. لكنهما فجأة أتاهما ذلك الصوت البارد قائلًا:

- « نحن يا دكتور (طارق).. »

استدار الأخير.. فوجد المخبر (الجرواني) ومن خلفه أربعة أفراد يقفون في تحفز.. وعيونهم ترمقه في شك وريبة..

ازدرد (طارق) لعابه محاولًا أن يبدو طبيعيًّا.. أو حتى يُذكر (الجرواني) بأنه صديق الرائد (حمزة)، لكن فيما يبدو أن ذلك المخبر، لن تستطيع أبدًا استنتاج ما يحمله لك من مشاعر..

فاليوم قد يبتسم في وجهك.. لكن غدًا قد ينظر لك في شك وريبة.. ذلك أمر عادي جدًّا بالنسبة لشخصيته!!

لم يملك (طارق) سوي أن يسأل بصوت مُتحشرج:

- « خيرًا؟ »

(الجرواني) بتلذذ:

- « استدعاء لنيابة أمن الدولة العليا.. »

اتسعت عينا (عثمان) بخوف.. و (طارق) يكاد أن يبكي متسائلًا:

- « لماذا؟ »

تقدم اثنان من الثيران البشرية لاصطحابه.. فقال (عثمان) بفزع:

- « ماذا فعلت يا ابني؟ »

(طارق) في صدمة:

- « لا أعرف.. »

نظر له (الجرواني) يضيف باقتضاب:

- « لا أحد يعرف.. أمر الضبط والإحضار لم يفسر شيئًا.. »

تقدم معهم (طارق) بقلة حيلة.. حتى وصلوا لباب المركز.. فوجد الجميع هناك في انتظاره..

(عبد السلام).. (عمران).. الجيران.. (اعتماد).. حتى الناس العادية التي كانت تمر في الشارع صدفة.. توقفت - بدافع الفضول - لتشاهد ما يحدث.. الوحيد الذي لم يكن له أثر هو الوغد (شلبي)..

امتقع وجه (طارق).. وتوقف يقول:

- « هل أستطيع أن أتصل بالمحامي؟ »

(الجرواني):

- « لا.. »

لم يكن (طارق) يمتلك سيارة في تلك الفترة من حياته، سوي عربة الإسعاف، لكنه رغم ذلك عاد يقول:

- « هل من الممكن أن أركب سيارتي؟ »

- « ليس لدي أوامر بذلك..»

(طارق).. بعدما تحول وجهه للون الأصفر تمامًا:

- « ماذا يعني هذا؟ »

(الجرواني) بنفاد صبر:

- « ستركب معنا (البوكس).. »

وأشار لرجاله.. فاستوقفه (طارق) يهمس برجاء:

- « أرجوك.. المنطقة كلها تشاهد.. أنا تحت أمرك في كل ما تطلب.. »

(الجرواني):

- « للأسف يا دكتور.. لن أستطيع تقديم شيء لك هذه المرة.. »

وتركه ليركب في المقعد الأمامي، بينما صعد (طارق) إلي البوكس، ومن خلفه الثيران الأربعة.. وهو يتحاشي النظر للجميع، خاصة جارته (اعتماد).. والتي أخذت تنظر لـ (عثمان) في شماتة بلسان حال يقول:

- « هذه هي آخرة المشي البطال.. »

لم يكن ينقص (طارق) في تلك اللحظـة - حقًّا - سوي ظهور السيارة (الميني كوبر).. والتي أتت مسرعة.. قبل أن تطل منها (أركان).. وتلوح له في بساطة لم تخلُ من الدهشة!

ابتسم (طارق) ببهجة زائفة.. وهو يرد لها التحية كأنه ذاهب لرحلة.. متمتمًا بسخرية لأحد الثيران التي تجلس بجواره:

- « دائمًا ما تساندني الأقدار.. »

وتحرك (البوكس) الكئيب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صرخ الرائد (مدحت) في وجه كل أفراد مباحث المعادي قائلًا.. وهو يتطلع بأسف واعتذار لـ (طارق).. الذي وقف بينهم مُصفَّدًا بالأغلال:

- « لقد طلبت استدعاءً للرجل.. وليس القبض عليه! »

امتقع وجه الرائد (حمزة).. قائلًا:

- « إنه أمر ضبط وإحضار.. »

(مدحت):

- « لو كَلفت نفسك يا سيادة الرائد.. وقرأت بقية نص الاستدعاء، لما حدث كل هذا »

ثم فَرَد أمامه أمر الضبط يقرأ آخر عبارة بمزيد من التصعيد:

- « مع مراعاة أنه غير مطلوب على ذمة قضايا.. وهذا يعني أنه غير متهم.. »

ران الصمت على الجميع.. قبل أن يتوجه (مدحت) لـ (طارق) يقول باعتذار:

- « أنا آسف يا دكتور.. »

ثم أردف لعسكري حراسته بحزم:

- « فُك من يده الكلبش.. »

تحسس (طارق) أصابعه.. يتمتم بسخرية:

- « حصل خير.. فقط تم فَضحي في المنطقة التي أعمل بها.. »

أومأ (مدحت) برأسه في تقدير.. قبل أن يردد ببساطة:

- « عندما تعود بعد ساعة من الآن إن شاء اللَّه، سينتهي كل شيء.. وتستطيع أن تبرر ما حدث، بأن النيابة كانت في احتياج رأيك الطبي في قضية ما.. »

راقت لـ (طارق) الفكرة..

- « وهل سيصدقون هذا؟ »

- « عودتك السريعة.. ستجعلهم يصدقون.. »

تنهد (طارق).. مُتجاوزًا الموقف.. لينتبه إلي أنه يقف في المقر الرئيسي لمباحث أمن الدولة.. قال بحذر:

- « وهل فعلًا النيابة تحتاج إلي رأيي الطبي؟ »

ابتسم (مدحت):

- « ليس بالضبط.. »

ثم أشار:

- « تفضل معي.. »

رافقه (طارق) إلي الدور الثاني.. وأثناء الطريق.. وبين أروقة الجهاز قابل ملامح صارمة.. لا تحب الثرثرة..

دلف لغرفة واسعة بها العديد من الأفراد التي تعمل.. كل مَنْ كان في الغرفة، لم يحمل له الود، سوي شخص واحد فقط رمقه بتفحص.. العميد (شريف)!!

التقت عيناه بعيني (طارق) عن بعد.. وأدرك لحظتها.. أن هناك شيئًا ما سيجمعه بذلك الرجل.. إنه يعرف جيدًا ذلك الإحساس!

قال (مدحت):

- « تفضل يا دكتور.. »

جلس (طارق).. قبل أن يتقدم منه شخص مُتأنق بشدة، تحمل عيناه تلك النظرة العميقة.. التي لا تخلو من الشك..

- « هل أنت الطبيب (طارق عبد الملك)؟ »

- « نعم.. »

أخرج الرجل صورة من مظروف كبير أمامه.. ثم سأله:

- « هل تعرف صاحب تلك الصورة؟ »

كانت صورة الشاب الغريب الذي اقتحم عليه المركز..

- « نعم.. »

قدم المُحقق له صورة ثانية ببطء..

- « وهذه؟ »

ضاقت عينا (طارق) بتركيز.. وهو يتطلع لجثة الشاب المسلوخة من الجلد..

- « ما هذا؟ »

قال المُحقق:

- « أنا هنا الذي أوجه الأسئلة.. »

(طارق) بارتباك:

- « لم أقصد.. الصورة لا تحمل ملامح.. فكيف سأتعرف عليها؟! »

ضاقت عينا المُحقق لثوانٍ.. قبل أن يقول:

- « الاثنان لنفس الشخص.. »

عاد (طارق) يتطلع للصورة الثانية مرة أخري، بمزيد من التركيز.. والمحقق يُضيف:

- « تعرضت الجثة للاعتداء ليلًا في مشرحة المستشفي.. »

(طارق) بشرود.. وهو ينظر للمحقق:

- « ومَن مِن مصلحته فعل ذلك؟ »

- « هذا ما نود معرفته.. »

أخذ (طارق) نفسًا عميقًا..

- « أنا تحت أمرك.. »

اعتدل المحقق.. قائلًا:

- « أريدك أن تروي كل تفاصيل ما حدث.. لكن بتركيز شديد جدًّا هذه المرة.. »

أماء (طارق) برأسه:

- « حسنًا.. لكن قبل البداية لدي طلب.. »

- « تفضل.. »

زوي ما بين حاجبيه واقترب يهمس:

- « فنجان قهوة سادة.. ومسكن.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أول رشفة قهوة.. انطلق هرمون السعادة يغزو عقل (طارق).. وأخذ يروي كل ما حدث بأدق التفاصيل للمحقق المتأنق الصارم..

والذي لم يَمل الاستماع على مدار ساعة دون توقف!

كان العميد (شريف) أيضًا يستمع بنفس التركيز، إلي أن انتهي التحقيق..

قال المحقق:

- « هل هذا كل ما لديك؟ »

- « نعم.. »

- « تذكر أن كل تفصيلة مهما بدت تافهة بالنسبة لك، قد تكون مهمة لنا.. »

(طارق) بسخرية:

- « أعرف تلك العبارة جيدًا.. سمعتها كثيرًا في مسلسل (رأفت الهجان).. »

لم يعلق المحقق.. ونظر نحو الزاوية التي يتواجد بها العميد (شريف).. كأنه ينتظر الإذن بإنهاء التحقيق.. أومأ له الرائد (مدحت).. فنهض المحقق يصافح (طارق).. قائلًا بقوة:

- « عاجزون عن الشكر يا دكتور (طارق).. »

نهض (طارق) يردد بلهفة:

- « هل انتهي الأمر؟ »

- « نعم.. وتستطيع الانصراف.. »

أسرع (طارق) في الحركة نحو الخارج، لكنه لم يقوَ على مقاومة إلقاء نظرة سريعة نحو العميد (شريف).. الذي ظل يتأمله عبر شاشة ضخمة أمامه، حتى غادر المبني.

- « إنه يعرف أن هناك مَنْ يراقبه.. »

اقترب (مدحت) يقف بجواره.. متسائلًا:

- « ما رأي سيادتك؟ »

العميد (شريف).. قائلًا بعمق:

- « أنا أصدقه، لكن ضعه تحت المراقبة بعض الوقت.. ربما يزوره أحدهم؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقد اجتهد الشيطان كثيرًا في هذا القرن، حتى صار له أتباع أكثر مما كان له في العصور السابقة!

يبدو أنه كلما تقدم الإنسان في الحضارة والعلم، ازداد بعدًا عن اللَّه.. مع أن المفروض أن يحدث العكس..

لقد اتخذ الشيطان من كل وسائل الإعلام والتطور وسيلة للترويج للرغبات.. وبالتالي المزيد من الإلهاء.. والبعد أكثر عن منهج اللَّه..

صار كل شيء يُحيط بك من رفاهيات يُذكرك بمتعة ما.. حتى أصبحت حياتك مُتَعًا متواصلة دون توقف..

والنفس البشرية إذا لم تروضها دائمًا.. بالعبادة وإعطائها الضروري فقط من الحياة.. مهما أعطتك تلك الحياة من مال أو سلطة أو صحة.. ستلتهمك.

ستستيقظ يومًا لتجد ذلك الكائن الصغير.. النفس التي كُنت تروضها في الماضي.. وتضعها تحت السيطرة، تحولت لوحش مفترس قادر على التهامك!

المشكلة أن الإنسان بطبعه يَمل سريعًا من ممارسة أي شيء، حتى ولو كان ذلك الشيء.. يُمثل حلم حياته في فترة ما!

هذا يدفع بشكل لا إرادي نحو تجربة أشياء غير مُعتادة، كنوع من التصعيد وكسر الملل.. فتجد نفسك فجأة تُمارس الشذوذ..

والجسد له ذاكرة.. بمعني أنه إذا ما عودت جسدك على شيء ما.. يكون من الصعب العودة إلي الخلف.

هنا يأتي دور الشيطان.. والذي لا يملك عليك سُلطة، سوي تهيئة المناخ لحدوث الحدث؟

إنه يلعب دور الغاوي.. مَنْ يُقرب المعصية كي ينقصها فقط ضغطة زر! فتقوم أنت بالخطوة الأخيرة!

وأكثر فئة يستهدفها الشيطان.. فئة شباب الأغنياء.. الذين يعانون من الفراغ.. وممارسة كل شيء لدرجة الاعتياد!!

هؤلاء استطاع الشيطان أن يُقنع شريحة منهم بأنه (سيد الجحيم).. ولا خلاص لهم إلا معه!

إنه المُخلص.. ومَنْ سيمنح (أعوذ باللَّه) صك الغفران يوم الحساب!!

فإن استطعت أن تُرضي الشيطان.. ستكون من أتباعه.. وبالتالي لن يسمح بدخولك الجحيم.. لأنه كما سبق أن قلنا (سيد الجحيم)!

تلك هي المعادلة ببساطة.. اعبد الشيطان يرضَ عنك.. وإذا رضي عنك سيمنحك العفو!!

من هذا الخبال.. بدأ الشيطان يروج لعالمه.. فظهرت (عبادة الشيطان) عبر كل العصور..

كل الضعفاء والمنحرفين والمُنفلتين وأصحاب السلطة والمتشككين في وجود العدل.. وجدوا ضالتهم عنده..

لكن عبادة الشيطان ليست نزهة..

فعليكم ارتكاب كل المعاصي للتقرب إليه!

أضف أنه لا بد من زيادة انحراف العالم كي يذهب نحو نهايته.. ففي عالمهم لن تقوم الساعة.. إلا عندما تزداد المفاسد.. ويغرق العالم في الانحلال..

وأتباع الشيطان يريدون أن تأتي النهاية سريعًا، كي يحصلوا على الوعد من سيد الجحيم.. ويدخلون الجنة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يبقَ سوي أن تعرف بقية الفكر العقائدي المتطرف.. الذي يسود العالم، كي تدرك حقيقة ما يحكمه من صراع!

الفكر (التوراتي الصهيوني الماسوني)..

والذي يؤمن بأن (المسيح) المُخَلِّص للشعب اليهودي - حسب نبوءتهم - لن ينزل إلي الأرض، إلا إذا تم إعادة بناء هيكل (سليمان) ([10])، كي يهبط عليه.. ليسود شعب الله المختار العالم!

والفكر (المسيحي المُتصهين)..

والذي للأسف يسيطر على غالبية تفكير قادة الغرب الآن.. ويؤمن بأن قيامة (المسيح) قد تمت فعلًا.. وأنه نزل إلي السماء الأولي، وينتظر بناء الهيكل، لينزل عليه.. كي يُطهر الأرض من اليهود بقتلهم، مع الإبقاء على بعض الآلاف منهم.. ليشهدوا مقتل البقية!

لماذا أحكي لك كل هذا الآن..

كي تعرف أن (عَبدة الشيطان).. و (الصهاينة).. و (الماسونيين) أحد أهم أذرع اليهود.. و(المسيحيين المتصهينين) - رغم اختلاف نهاية نبوءاتهم - اتفقوا على

شرطين أساسيين كبداية.. لهبوط (المسيح) المُخَلَص..

الشرط الأول هو إعادة بناء الهيكل!!

والشرط الثاني هو استعجال النهاية، عن طريق امتلاء الأرض بالفوضي والقهر والظلم والفساد..

فالمسيح لن يهبط - حتمًا - وسط بيئة مستقرة.. عادلة!

وهو ما يتم تنفيذه الآن حرفيًّا تحت مظلة عبادة الشيطان.. والمحافل الماسونية.. وضرب أصول وعقائد كل الكتب المقدسة، خاصة الإسلام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فيلا ترتقي كي تكون قصرًا بضاحية بعيدة من مدينة السادس من أكتوبر، فيلا ليس لها جيران.. وتحيط بها الأشجار العالية من كل اتجاه.

مكان غامض.. صامت.. يليق بما يحدث داخله!

اجتمع كل أعضاء أخوية (بُويرن Beuern) للاحتفال بانضمام عضو جديد لهم، تقدم ذلك الشاب زائغ العينين بخطوات بطيئة، يصعد تلك الدرجات المعدودة.. قبل أن يقف أمام ذلك الشخص بارد الملامح..

كان كل أعضاء الأخوية يرتدون تلك الأقنعة الفضية اللامعة السخيفة، عدا الشاب الذي ارتكز على ركبتيه.. وأحني رأسه للأمام..

تقدم منه الشخص البارد، يرسم فوق رأسه عدة رسومات وهمية، قبل أن يقرأ الصفحة الأولي لمخطوطة (بُويرن).. التي تمثل دستورهم..

كانت الصفحة تحتوي على رسم وثني، يطلقون عليه اسم (عجلة القدر).. مع أربع عبارات باللغة اللاتينية تحيط بالعجلة.. تُلخص القصة..

أنا بدون مملكة..

أنا سوف أحكُم..

أنا أحكُم..

أنا حَكمت..

استمرت طقوس ذلك الخبال لربع ساعة.. والتي انتهت بأن حَمل الشخص البارد كأسًا كبيرة.. تحتوي على سائل أحمر.. وقام بتقديمها للشاب..

نظر له الشاب في تردد لثوانٍ.. قبل أن يحسم أمره.. ويأخذها منه..

تناولها جرعة واحدة.. بعدها سقط على وجهه.. لكنه لم يفقدِ الوعي!

تعالت نغمات موسيقي (كارمينا بورانا) تملأ الأجواء، قبل أن يتقدم شخصان من الشاب.. قاموا بجره.. حتى وصل لذلك النصب الشيطاني الكبير.. والذي احتل مساحة كبيرة من مِنصة المعبد.. ثم أمروه بالسجود..

نظر الشاب بعيون شبه فاقدة للوعي للنصب الشيطاني.. والشخص البارد يردد بصوت قوي:

- « إنه وحيد.. لا يستطيع أحد اصطياده.. يخرج للعالم وقتما يريد.. وليس وقتما تريد أنت.. »

وصرخ يستطرد:

- « إنه سيد الجحيم الأزلي.. »

تصاعدت الموسيقي.. والشاب ينحني في تَعبُّد للشيطان.. قبل أن تنتهي الطقوس.. وينهض في ترنح..

تقدم منه الشخص البارد يضع قلادة ما حول عنقه.. ويُلبسه ذلك الخاتم غريب الشكل.

ابتعد (أدولف) الأب الروحي لأخوية (بويرن)، بعدما شهد مراسم التنصيب من إحدي الزوايا الخفية..

ثم اتجه إلي البار ليتناول الخمر، كان يتناول الخمر بشراهة كل نصف ساعة تقريبًا! ولو امتلك تناوله أثناء النوم لفعل!

دلف (هيرمان) مساعده يقول بجمود:

- « لقد ألقت قوات الأمن المصرية القبض على الطبيب.. »

(أدولف):

- « متي؟ »

- « منذ ساعتين.. »

ران الصمت لحظة.. قبل أن تضيق عينا (هيرمان) مضيفًا:

- « لكنهم أفرجوا عنه سريعًا.. »

تبادلوا النظرات المتسائلة.. ثم قال (أدولف):

- « ذلك يحمل أمرًا من اثنين.. إما أن الطبيب يعرف فعلًا معلومات لم يقلها في التحقيق الأول.. أو أنهم لم يحصلوا منه على شيء »

فكر (هيرمان):

- « أنا أميل إلي الاحتمال الثاني.. فما قامت به السلطات المصرية.. يُعد رد فعل طبيعي بعد أحداث المستشفي.. »

أومأ (أدولف) برأسه قائلًا:

- « وسط أي احتمال.. علينا توخي الحذر الشديد.. »

(هيرمان) بحسم:

- « اطمئن.. الطبيب مراقب طيلة الوقت.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(أخوية بُويرن)..

بعد تدقيق وبحث طويل في هذا الخبال، اجتمعت كل المصادر والمراجع على سيناريو تاريخي واحد لتلك المجموعة..

وهو أن القصة بدأت هناك.. في بداية العصور الوسطي.. أو المظلمة كما يُحب أن يسميها البعض..

حيث كانت الكلمة العليا للجهل والتخلف والمعتقدات الغيبية.

في عام (١٢٣٠) ميلادي، ظهرت مجموعة رُهبان من إقليم (بافاريا) - جنوب ألمانيا حاليًّا - انشقت عن سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، أطلقوا على أنفسهم اسم (الجُوليارد).

يُقال إنهم كانوا شديدي العبث والانحراف والجنون.. يلبسون ملابس النساء.. ولا يتورعون عن إتيان أية فاحشة!

لهذا منعتهم الكنيسة من المشاركة في الإنشاد عام (١٢٢٧) ميلادي.. وحَرَّمت ذكر اسمهم.. وطُردوا من الكنائس.. واعتُبروا على صلة بالشياطين.

يقال إنهم اشتقوا اسم (الجُوليارد) من اسم (جالوت) ([11]).. وكان لهم الكثير من القصائد والمقطوعات الشعرية.

البعض شَك في علاقتهم بالسحر الأسود وعبادة الشيطان.. والبعض قال إنهم أول من أراد فصل الدين عن الدولة (العلمانية).. والبعض اعتبرهم مجرد شعراء يَشُكُّون في وجود العدل.

السؤال الذي لم يُحسم أبدًا حولهم..

هل تلك الأشعار التي خلفوها وراءهم، شعائر تَعبُّد للشيطان، ابتكرتها (الجُوليارد).. لإقامة شعائرهم الدينية الفاسدة.. أم أنها كانت مجرد أشعار؟

هناك مَنْ صَرح بأنها من تأليف الشيطان ذاته..

والحق يُقال.. إنها تبعث القشعريرة في الجسد بالفعل حين قراءتها! ولا يمكن اعتبارها مجرد أشعار.

لهذا طاردتهم الكنيسة والمجتمع كله حينئذ، حتى اختفت مخطوطة تلك الأشعار عن الوجود، لتعود للظهور عام (١٨٠٣) ميلادي.

عثر عليها البارون (كريستوف أرتين) (Christoph Aretin) مدير مكتبة (ميونخ)، في كنيسة (بِنديكت بُويرن) (Benedikt Beuern)..

لهذا أُطلق عليها اسم مخطوطة (بُويرن).. تَيمنًا باسم الدير التي اكتشفت به.

مَنعت الحكومات المتتالية ظهور تلك المخطوطة لأسباب مجهولة..

حتى جاء عام (١٨٤٧) ميلادي.. وقام (أندرياس شمِلَّر) (Andreas Schmeller) الشاعر الألماني الشهير، بتحرير جزء مهذب منها تحت عنوان (كارمينا بورانا).

في عام (١٩٣٥) عثر الموسيقار الألماني النازي (كارل أورف) (Carl Orff) على كتاب (كارمينا بورانا)..

وبعد دراسة مُتعمقة، اختار من الأشعار التي كانت مكتوبة باللغة اللاتينية والجرمانية والفرنسية (٢٤) نصًّا فقط، من أصل (٢٥٤).

بعدما قرر ألا يُلحنها كلها.. ربما لبشاعة ما وجده فيها!

وضع لها ألحانًا، ثم قدَّمها في الثامن من حزيران (يونيو) عام (١٩٣٧) ميلادي في دار أوبرا (فرنكفورت ماين)..

ويوم الافتتاح قام الناشر.. وافتتح العرض الأول لموسيقي (كارمينا بورانا) بتلك العبارة الشهيرة:

- « بهذه المقطوعة الجديدة.. يمكنكم التخلص من كل ما سمعتموه من موسيقي قبل اليوم.. هذه هي البداية الحقيقية للموسيقي »

وبالفعل لَقِيت رواجًا عظيمًا.. لأن مَنْ كان يستمع إلي أشعار (كارمينا بورانا).. التي لحنها (كارل أورف) بأمر مباشر من (هتلر) - كما تقول الروايات - يشعر وكأن شيئًا شيطانيًّا يسري في دمائه!

ولعل هذا ما أصاب ألمانيا.. وكان سببًا في الحرب!

فـ (كارمينا بورانا) هي المقطوعة الأشهر لألمانيا النازية.. والتي كان يسمعها الجميع بإفراط وقتها.

حاول الحلفاء كثيرًا بعد الحرب طَمسها، إلا أنها ظلت تتسرب.. وخالدة حتى اليوم، كأن روعتها وتأثيرها أمر يفوق قدرة البشر على المقاومة.

الأخطر هو أن ما ظهر للعالم الحديث من تلك الأشعار، ما هو إلا الجزء المهذب.. والضئيل جدًّا من المخطوطات!

في النهاية يجب توخي الحذر حين قراءتها، لأن الجميع رغم اختلاف رؤيتهم للأمر، اجتمعوا على شيء واحد فقط..

وهو أنها فعلًا أشعار ([12]) تستحق سمعتها السيئة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يبدو أن هناك من حصل على تلك المخطوطة..

وبدأ يحاول إحياء الأمر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم صلابتك.. وعلى قدر قوتك.. قد تقابل يومًا مَنْ يستطيع إيقاظ شيء ما بداخلك.. حينئذ ستشعر بالضعف؛ وستعاني أكثر مما قد يحدث لأي شخص عادي.. فالأقوياء عذابهم يليق بهم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف (طارق) إلي المركز.. فوجد محاميه (فتحي) يقف مع (عبد السلام) و (شلبي) و (حامد) و (عثمان).. والأخير يقول بقلق:

- « لا بد أن تتحرك سريعًا يا متر.. »

سأله (فتحي):

- « هل تعرف إلي أين أخذوه؟ »

(عثمان).. وهو ينظر لوجوههم:

- « لا.. »

تدخل (عبد السلام) يهمس:

- « أمن الدولة.. »

ضاقت عينا (شلبي) يسأله بجزع:

- « كيف عرفت؟ »

- « أعرف مُخبرًا ممن قاموا بإلقاء القبض على الدكتور.. يعمل هناك »

لم يقتنع المتر (فتحي).. وكاد أن يقول شيئًا ما، لكنه بتر عبارته.. عندما أتاهم صوت (طارق) من الخلف يقول بحسم:

- « أنا لم يُقبض عَلي.. »

ران الصمت لثانية.. اندفع بعدها الجميع يقول بسعادة صادقة:

- « حمدًا للَّه على السلامة يا دكتور.. »

تقبل تحيتهم بهدوء.. قبل أن يسأل المحامي السؤال الذي يريد الجميع إجابته:

- « ما الذي حدث؟ »

أجابهم (طارق) باختصار:

- « أبدًا.. كانوا يريدون أخذ رأيي الطبي في قضية ما.. »

لم يبدُ عليهم الاقتناع.. والمحامي يسأله من جديد:

- « وهل من يريد أخذ رأيك الطبي.. يُحضرك بتلك الطريقة؟ »

(طارق) محاولًا إنهاء الأمر:

- « تستطيع أن تعتبره سوء تفاهم وانتهي.. »

ضاقت عينا (عثمان) في شك.. قائلًا:

- « سوء تفاهم.. أم أنهم كانوا يريدون أخذ مشورتك؟ »

(طارق) بحزم:

- « عم (عثمان).. أنا مرهق.. ولا أريد الحديث عن الأمر.. »

كانت لهجته وكلماته.. تحذير للجميع بغلق الموضوع.. ران الصمت عليهم مرة أخري لبعض الثواني.. قبل أن ينصرف الكل عائدًا إلي موقع عمله..

لم يبقَ سوي (شلبي).. والمحامي الذي أخذه على جانب يردد:

- « لو كان لك مشكلة مع الأمن أخبرني الآن قبل أن تتطور.. وأنا أعدك أن أُخرجك منها مهما كان وضعك »

انتظر (طارق) حتى انتهي.. ثم قال بغيظ:

- « مع السلامة يا (فتحي).. »

عدل الأخير رابطة عنقه.. قائلًا ببساطة:

- « على العموم.. أنا دائمًا موجود.. سلام.. »

ثم غادره.. انتظر (طارق) حتى خرج من الباب الرئيسي، قبل أن يقترب منه (شلبي) قائلًا:

- « موضوع أخذ رأيك الطبي هذا.. لا يقبله عقلي.. »

تجاهله (طارق).. قائلًا:

- « أين كنت وهم يقبضون علي؟ »

(شلبي) ببساطة كوميدية:

- « نائم!! »

- « وهل كل تلك الضجة التي أصابت المركز.. وصوت سرينة الأمن.. لم يؤرق نومك؟! »

(شلبي) بمزيد من العفوية الكوميدية:

- « لا.. لماذا تسأل؟ »

(طارق) كابتًا غيظه:

- « لا أبدًا.. أنا أحاول فقط التعرف عليك أكثر! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان كل هَم (طارق) في تلك اللحظة، هو تبرير ما حدث لـ (أركان) بسرعة.. لذلك لم ينتظر حتى المساء.. للقيام بزيارته الطبية لجدها..

دلف إلي منزلها في حدود الخامسة مساءً، استقبله (عزام) بجموده المعتاد:

- « تفضل.. »

رافقه.. بمشية جنائزية حتى غرفة سيده.. ثم أدخله وأغلق الباب..

قام (طارق) بالفحص.. وإعطاء الأدوية وجلسات التنفس.. وبعدما انتهي أغمض (شوكت) عينيه وراح في سبات عميق على الفور..

ابتسم (طارق).. ثم غادر الغرفة.. فوجد (عزام) ينتظره خلف الباب.. أصابه الارتباك.. والخادم يسأل:

- « هل انتهيت؟ »

أخذ (طارق) نفسًا عميقًا.. قائلًا:

- « نعم.. »

ودون ترحيب أو حتى عرض تقديم مشروب.. تحرك (عزام) لتوصيله للخارج.. لم يجد (طارق) أمامه سبيلًا سوي الانصياع لرغبته، حتى كاد أن يصل إلي باب الخروج.. توقف يسأل:

- « هل السيدة (أركان)؟ »

قاطعه (عزام) بحدة:

- « إنها ليست بالمنزل.. »

وأغلق الباب خلفه:

- « مع السلامة.. »

فجأة.. وجد (طارق) نفسه وحيدًا بالحديقة المهملة يتمتم بغيظ:

- « أيها الوغد.. »

بقـي هكـذا لبضـع دقائــق، تأمـل خلالهـا المبنـي.. النـوافـذ.. العربة (الميني كوبر).. كأنــه لا يصدق أنها ليست هنا، لكنه في النهاية استسلم للأمر.. وقرر الانصراف.

هنا.. توقفت أمامه سيارة (BMW) حديثة.. والضحكات تتعالي منها بشكل منفلت، ضاقت عينا (طارق).. وهو يتأمل (أركان) تهبط من السيارة.. وشاب مائع يرسل لها التحية.. قائلًا بشكل يدعو للغثيان:

- « باي كوكو.. »

لوحت له بدورها.. قبل أن يعاود الشاب المائع الانطلاق بالسيارة، مُغادرًا المكان..

تقدمت نحوه تقول بترحيب:

- « أهلًا دكتور.. »

وصافحته تستطرد:

- « ظننت أنك لن تستطيع القدوم اليوم.. »

لوح (طارق) بيده متصنعًا اللامبالاة:

- « تقصدين ما حدث صباحًا في المركز.. لقد كانت النيابة تريد أخذ مشورتي في قضية ما.. »

- « اممم.. لقد خُيِّلَ لي أنهم يلقون القبض عليك.. »

أعطاها (طارق) أفضل ابتسامة.. ثم تبادلا بعض العبارات.. فيما يخص تطور حالة جدها.. حتى ران الصمت.. ولم يعد هناك ما يُقال..

سألها (طارق) فجأة بطريقة غبية:

- « مَنْ الذي كان معك بالسيارة؟ »

ضاقت عينا (أركان) بدهشة.. لكنها رغم ذلك قالت ببساطة:

- « إنه (مايكي).. أحد زملاء الدراسة.. »

شعر (طارق) بحماقة سؤاله.. فهذا أمر خاص لا يليق به أبدًا التدخل فيه.. هي أيضًا شعرت بما أصابه.. ابتسمت.. محاولة تجاوز الموقف:

- « لماذا لا ندخل؟ »

(طارق) مقررًا الرحيل:

- « وقت آخر.. »

صافحته:

- « حسنًا.. سأنتظرك غدًا.. »

دلفت إلي المنزل بسرعة.. بينما أخذ (طارق) يثرثر بغضب:

- « ماذا فعلت أيها الأحمق؟ المفروض أنك تجاوزت تلك الأخطاء منذ سنين! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الزيارة الثالثة مساءً..

عاد (طارق) شخصًا مختلفًا تمامًا..

حاول استحضار روح المقاومة بداخله.. إنه هنا اليوم كي ينتصر لإرادته.. التي سحقتها تلك الفتاة!

كان يحمل فعلًا هذا الإحساس، لكنه بمجرد رؤيتها في ذلك الفستان الأزرق القصير، انهار كل شيء، عاد يُصيبه داء الارتباك.. والرغبة المُلحة في البقاء بجوارها أطول فترة ممكنة!

الغريب أنه لم يقاوم؛ استسلم للأمر بأريحية.. وقرر الاستمتاع به.. رغم علمه المُسبق أنها مشاعر مؤقتة!

جلس يتناول معها مشروب الـ (سيزارب).. وينعم بحديثها حتى سَرقه الوقت.. وتجاوزت الساعة منتصف الليل..

حضر (عزام) ينحني أمام (أركان).. وكالعادة ينظر له في عداء تطور إلي غِل.. قائلًا:

- « موعد غلق الأبواب.. ونَومي يا سيدتي.. »

(أركان):

- « أنا التي سأغلق الأبواب الليلة.. تستطيع أن تنام.. »

كانت دعوة صريحة لطرد (طارق).. الذي نهض يقول:

- « يااااه.. لقد تأخر الوقت.. ولا بد أن أنصرف.. »

أفسح له (عزام) الطريق.. و (أركان) تقول ببساطة:

- « أراك غدًا »

- « أكيد.. »

ثم غادرها.. لم يشعر (طارق) بالمسافة التي قطعها على قدميه حتى وصل إلي المركز.. كان كل شيء هادئًا.. وهو في أعلى درجات السعادة..

تَسحب للداخل كالعادة كي لا يشاهده (عثمان).. لكنه فجأة صدم (شلبي).. فتراجع يضحك:

- « يبدو أن الأقدار تدخر لي الأسوأ دائمًا.. »

لم يفهم (شلبي) العبارة..

- « ماذا تعني؟ »

لوح (طارق) بيده.. مقاومًا الضحك:

- « لا أبدًا.. لا أقصد شيئًا.. »

نظر له (شلبي) نظرة متفحصة.. قائلًا بمرح:

- « تبدو سعيدًا! هل عرفت طريق المخدرات أخيرًا؟ »

ضحك (طارق) من قلبه.. قائلًا:

- « لا.. ليس بعد.. لكن اطمئن عندما أقرر التجربة، حتمًا ستكون أول من أعتمد عليه.. »

لم ترق دعابته لـ (شلبي).. الذي اقترب يتفحص بؤبؤ ([13]) عينيه.. قائلًا:

- « تبدو غير طبيعي.. هل تناولت أي مشروبات روحية؟ »

أزاح (طارق) يده.. قائلًا باستنكار:

- « لا طبعًا.. إنه فقط الـ (سيزارب).. »

ضاقت عينا (شلبي).. يتمتم بقلق:

- « قلت الـ (سيزارب)؟ »

- « نعم.. مشروب أمريكي شهير.. »

عاد (شلبي) يفحص بؤبؤ عينيه بمزيد من القلق:

- « منذ متي تتناوله؟ »

حصل (شلبي) على اهتمامه.. وهو يقول:

- « ثلاثة أيام.. لماذا تسأل؟ »

مط (شلبي) شفتيه قائلًا:

- « لو كان ذلك المشروب هو الذي أعرفه.. فأنت كنت تتناول المخدرات.. »

(طارق) مصدومًا:

- « المخدرات؟ »

- «نعم.. مشروب الـ (سيزارب) ([14]) يتكون من دواء السعال الذي يحتوي على مادة (الكودين) و (البروموثازين) و (ديكستروميثورفان)، له طعم العنب.. والكريز، وعندما يُمزج بالصودا يتحول إلي شراب قاتل ذي لون بنفسجي.. يسبب الشعور الزائف بالسعادة.. مع بعض الدوخة.. »

اتسعت عينا (طارق) قائلًا بارتباك:

- « إن لونه بنفسجي فعلًا.. لكنه ليس حتمًا مخدرات.. لا.. لا.. لماذا تفعل هذا؟! »

سحبه (شلبي) من يده.. ووقف به أمام مرآة قائلًا:

- « ما الذي من الممكن أن يجعل عدسة العين على تلك الشاكلة غير المخدرات؟ أنت طبيب وتعرف تلك الحقيقة.. »

تأمل (طارق) عدستي عينيه بفزع، كانت على وضعية الـ ([15]) (pin point) الشهيرة.. لم يقاوم الفكرة.. وجلس فوق أقرب مقعد يتمتم بسخرية:

- « أنت موسوعة مخدرات متنقلة! لن أستهين بقدراتك بعد اليوم.. »

ضحك (شلبي).. وجلس بجواره.. و (طارق) يهز رأسه يستطرد بحيرة:

- « لكن لماذا تفعل معي هذا؟! »

(شلبي):

- « مَنْ هي؟ »

صمت (طارق) لحظة.. ثم أخذ يخبره بكل تفاصيل علاقته بـ (أركان)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم التالي.. جلس (طارق) و (شلبي) على مقهي (شاهين) صباحًا.. والأول يردد بعصبية بعد زوال آثار الانتشاء من دمائه:

- « لماذا فَعَلت هذا؟! »

كانت تلك ربما المرة الألف.. التي يسأل فيها نفس السؤال منذ ليلة أمس، لدرجة أن (شلبي) الذي يتميز بالبرود.. كاد يفقد أعصابه..

وضع (شلبي) فنجان القهوة السادة من يده فوق الطاولة التي أمامه بعنف.. ثم قال بحدة:

- « لقد أخبرتك أنها طالبة في الجامعة الأمريكية.. وقد يبدو هذا عاديًّا في عالمها.. »

لوح له (طارق) بيده أن يهدأ.. قبل أن يقول:

- « ذلك التبرير لا يقبله عقلي.. »

عاد (شلبي) يرشف قهوته بملل:

- « لن تجد غيره في النهاية.. »

ران الصمت بينهما لبرهة.. قبل أن يعود (شلبي) يسأل:

- « ماذا ستفعل معها؟ »

(طارق) بتحدٍّ:

- « سأعيش التجربة للنهاية.. وليحدث ما يحدث.. »

- « منطق فوضوي يحمل الاستهتار.. يبدو أن هذا المشروب أفسد عقلك! »

(طارق) بسخرية.. وهو يُمثل علامات انسحاب المخدر من جسده:

- « أشعر أنه يسري في دمائي.. »

في تلك اللحظة اقترب منه فتي القهوة (أمين) يردد:

- « المعلم (عباس) يُخبرك أن العربة نصف النقل جاهزة يا دكتور.. »

لوح له الأخير بالتحية من خلف النصبة، بعدما ضمن (طارق) ولاءه بإعطائه تلك الأدوية الجنسية..

- « شكرًا يا (أمين).. دقيقة وسأكون معك.. »

- « أي خدمة يا دكتور؟ »

انصرف (أمين).. و (شلبي) يسأل:

- « عربة نصف نقل؟ ماذا ستفعل بها؟ »

رشف (طارق) بقية فنجان القهوة قائلًا:

- « سأنقل أغراضي من شقة (الدويقة).. »

اتسعت عينا (شلبي) بدهشة ضاحكًا:

- « لماذا الآن؟ »

(طارق) بحيرة:

- « لا أعرف.. لقد استيقظت فجأة صباح اليوم مقررًا ذلك! »

- « والمعلم (برعي) و (الخواجة)؟ »

- « فليذهبوا إلي الجحيم.. لن أبقي ساعة أخري دون أثاث.. »

ضحك (شلبي).. ونهض يقول:

- « سأذهب معك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدويقة.. الساعة الحادية عشرة صباحًا.

سارت العربة نصف النقل التي تقل (طارق) و (شلبي) ببطء.. في شارع فرعي بسبب إشغالات الطريق..

كان هناك صراع نفوذ لفظي بين اثنتين من بائعات الخضار في الشارع، على بقعة ما.. فكل منهما تطالب بحقها في الأرض.. وأنها من أتت أولًا.. كأن تلك البقعة هي التي ستجلب الرزق أكثر من تلك التي على بعد أمتار!

تعامل غالبية رواد الشارع مع الصراع بلامبالاة.. لأنه لم يكن هناك جديد، حتمًا سيتحركون لمنعهم، لو سَحلت إحداهما الأخري.. أما دون ذلك هو مجرد روتين أو شكليات اعتادوا على رؤيتها كل يوم.

فجأة لمح صاحب عربة فول المنطقة (طارق)، كان يغسل أدواته في جردل ماء قذر.. فصاح يقول:

- « حمدًا للَّه على السلامة يا دكتور.. »

لوح له (طارق).. لكنه شعر بالغيظ.. فبسبب تلك الصيحة، تلفت نحوه غالبية الناس.. وانتشر خبر عودته للمنطقة سريعًا، بعدما كان يريد الدخول والخروج بهدوء.

- « مدخل العمارة المقبلة على اليمين.. »

توقفت العربة.. وهبط (طارق) من السيارة يردد:

- « أريد أن ننهي الأمر سريعًا.. »

أجابه السائق واثنان معه:

- « حاضر يا دكتور.. المعلم (عباس) أمرنا بتنفيذ كل رغباتك.. »

أعطاهم المفتاح وهو يقول بسخرية:

- « إنها الغرفة التي فوق السطوح.. لا تتركوا شيئًا سوي الحوائط.. »

ابتسم الرجال، وأسرعوا لتنفيذ المهمة، بينما تأمل (شلبي) المنطقة باستمتاع مرددًا:

- « لهجة السخرية والمخاطرة زادت في تصرفاتك.. »

كاد (طارق) أن يعلق.. لكنه فجأة لمح المعلم (برعي) وبعض رجاله في أول الشارع، تسمر في مكانه يقول بقلة حيلة:

- « كنت أظنه كائنًا ليليًّا.. لا يستيقظ الآن! »

نظر (شلبي) نحوهم.. يسأل باهتمام:

- « المعلم (برعي).. أليس كذلك؟ »

اكتفي (طارق) بإيماءة من رأسه.. والأخير يتقدم نحوهم يردد مرحبًا:

- « أهلًا أهلًا يا دكتور.. نورت المنطقة.. »

- « أهلًا يا معلم (برعي).. »

صافحه يتساءل:

- « ما كل هذه الغيبة يا رجل؟ »

- « مشاغل.. مشاغل يا معلم.. »

- « كان اللَّه في العون.. »

تقدم (عتمان) يحتضنه.. ويعطيه قبلة مبلولة بحماس:

- « شكرًا يا دكتور على ما فعلته معي.. »

تخلص منه (طارق) بصعوبة.. يردد:

- « العفو.. العفو.. »

ضحك الجميع.. والمعلم يتأمل العربة نصف النقل متسائلًا:

- « هل هذه العربة تخصك؟ »

(طارق) بجدية:

- « نعم.. سأحمل عليها الأثاث.. »

ران الصمت.. والمعلم يسأله بدهشة اقترنت بالضيق:

- « هل سوف تترك الشقة؟ »

(طارق) بسخرية:

- « هل تسمي غرفة فوق السطوح شقة يا معلم؟ »

- « معك حق.. إنها لا تليق بك.. على العموم مصر كلها غرفة وصالة.. وأكيد سنظل نتقابل.. »

- « طبعًا.. طبعًا يا معلم »

نظر لـ (شلبي) الذي وقف متحمسًا لمعرفته.. فقدمه (طارق) له قائلًا:

- « دكتور (شلبي) صديقي.. »

صافحه (شلبي) بحماس:

- « سعيد برؤيتك يا معلم (برعي).. »

المعلم بفتور:

- « دكتور في إيه بقي حضرتك؟ »

تردد (شلبي).. وراح يبحث عن مسمي يقبله عقل المعلم، لكن (طارق) تدخل يقول بسخرية:

- « أمراض نفسية بمستشفي العباسية.. »

شعر (شلبي) بالغيظ منه.. والمعلم يُضيف بتفكير:

- « نفسية؟ العباسية؟ دكتور مجانين يعني؟ »

كتم (طارق) ضحكاته.. و (شلبي) يوضح:

- « أنا دكتور أعصاب.. أعالج الناس من الإدمان.. »

بدت علامات الاستياء فوق ملامح المعلم (برعي) وهو يردد:

- « أعوذ بالله.. قاطع أرزاق يعني؟ »

أدرك (طارق) مقصده.. فأخذ يضحك بشدة، شاركه (شلبي) الضحك قائلًا:

- « يبدو أنك تستحق سمعتك يا معلم! »

راقت العبارة لـ (برعي)..

- « أنا؟ »

- « نعم.. »

واقترب منه (شلبي) يهمس:

- « كوكتيل (خد الجميل) هو رقم واحد الآن في السوق.. »

ابتسم المعلم بسعادة:

- « أنت صاحب مزاج! »

(شلبي) بحماس:

- « كلك نظر يا معلم.. »

انطلق الاثنان في الضحك بشكل مبالغ فيه.. بينما فغر (طارق) فاه مردداً بدهشة:

- « كان ذلك هدفك إذن من القدوم معي؟.. التعرف على المعلم! »

لوح (شلبي) بيده:

- « معرفة الرجال كنوز! »

(برعي) في تقدير سيئ:

- « حبيبي.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الزيارة الرابعة..

كان (طارق) يتوقع أن تكون (أركان) في انتظاره مثلما حدث في الليلة السابقة، كان مشحوناً ويحمل رأسه العديد من الأسئلة التي تحتاج إلي إجابة..

لكنه لم يجدها..

وجد الجد (شوكت) يجلس في الصالة فوق مقعده المتحرك.. وينظر للحديقة من زاوية صغيرة..

عندما شاهده (طارق) تقدم نحوه قائلاً ببهجة:

- « يبدو أن صحتنا أصبحت أفضل اليوم.. »

استدار إليه (شوكت) بهدوء قائلاً بإحباط:

- « وما فائدة التحسن؟ طالما أن النهاية قادمة لا محالة! »

بحث (طارق) عن أي رد يناسب تلك العبارة السلبية لم يجد.. فقرر الحديث دون تجمل، اقترب ينظر إليه متسائلاً:

- « لماذا تفكر بهذه الطريقة؟ »

مط (شوكت) شفتيه.. قائلاً بسخرية:

- « لأنها الحقيقة.. »

تنهد (طارق).. ثم قال:

- « معك حق.. لن أنكر أن النهاية قادمة فعلًا لا محالة.. ولكن للجميع.. وليس لك وحدك.. رغم ذلك لا بد أن نعيش الحياة حتى آخر لحظة؛ لأننا في اختبار.. لا بد أن نعيشه للنهاية! »

ابتسم (شوكت) قائلًا بسخرية:

- « هذا ليس حديث طبيب إلي مريض، إنك تدعوني للانتحار.. »

(طارق) مدافعًا عن نفسه:

- « أنا لا أقصد ... »

قاطعه (شوكت) يضحك:

- « أفهم مقصدك جيدًا.. وأقدره.. لكن ليس كل الناس بالقوة التي تعتقدها! »

لم يجد (طارق) ردًّا.. فران الصمت.. والعجوز يفكر.. قبل أن يستطرد:

- « لكن معك حق.. رؤيتك للأمور صحيحة.. »

وفجأة تحول إلي طفل كبير:

- « ما رأيك أن نشرب (السيزارب)؟ »

(طارق) بحدة:

- « لا.. »

العجوز بدهشة:

- « يبدو أنك لم تحبه.. إنه يجعلني أكثر سعادة.. وأتنفس بشكل جيد.. »

- « أعرف.. لكنه خطر على صحتك.. »

عاد العجوز يضحك.. قائلًا ببهجة زائفة:

- « وأين هي صحتى؟ »

صمت (طارق) من جديد.. بينما استمر العجوز في الضحك لبرهة قبل أن يردف بعناد:

- « سأفعل كل ما يسبب لي الارتياح الفترة الباقية.. »

وأخذ ينادي على (عزام) كي يُحضر له المشروب.. فلم يعترض (طارق).. والأول يقول له باحترام:

- « السيدة (أركان) فقط هي التي تستطيع صناعته.. »

العجوز يتمتم:

- « تُريدني أن أحتاج لها باستمرار.. »

وأشار له بالانصراف.. طبعًا لم ينسَ (عزام) أن يرمق (طارق) في عداء.. والأخير يقول وهو يفتح حقيبته:

- « هل تسمح بأن أعطيك العلاج؟.. »

كشف العجوز عن ذراعه.. مردِّدًا بعدم اقتناع:

- « تفضل.. »

أخذ (طارق) يُعطيه بعض الأدوية في كانيولا (cannula) وريدية طبية.. وهو يتلفت كل حين باحثًا عن (أركان)..

انتهي.. والعجوز يقول:

- « إنها ليست هنا؟ »

جمع (طارق) أدواته.. وأغلق حقيبته.. قائلًا بإحراج لم يستطع مداراته:

- « مَنْ تقصد؟ »

- « التي تأتي كل يوم من أجلها! »

التقت عيناه بعيني العجوز (شوكت).. وهو يضيف:

- « لقد رأيت تلك النظرة التي تحملها عيناك في وجوه الكثيرين من قبل.. »

تجاهل (طارق) العبارة.. قبل أن يصافحه قائلًا:

- « أنا سعيد بتحسن صحتك.. أراك على خير.. »

ودون إضافة كلمة.. أسرع يغادر الصالة نحو الخارج، لكن العجوز (شوكت) لاحقه قائلًا بصوت عالٍ:

- « ستحطم قلبك.. »

سمع (طارق) العبارة.. والعجوز يستطرد بلهجة شاردة، بعدما اختفي من أمامه:

- « فهي لا تُجيد سوي ذلك! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غرق العميد (شريف) في نفس الملف الضخم.. متعدد التفاصيـل.. والذي كان لا يَشغل تفكيره غيره في تلك الفترة..

كان يحاول إيجاد رابط يجمع الأحداث، دون جدوي..

دلف إليه الرائد (مدحت) يقول بإرهاق:

- « تقرير الطب الشرعي.. »

أطفأ العميد بقايا سيجارة كانت في يده.. ثم التقطه منه وغاب في قراءته، قبل أن يعود يلتفت لـ (مدحت).. قائلًا بتفكير:

- « الجثة الثالثة لشاب تركي في النصف الثاني من العشرينات؟ عظيم.. هذا يضيق دائرة البحث.. »

تنهد (مدحت) قائلًا بمزيد من الاستهلاك:

- « هل تعرف سيادتك، كم شخصًا تركيًّا تنطبق عليه تلك المواصفات دخل مصر في الأشهر الثلاثة الأخيرة فقط؟ »

- « كم؟ »

- « أكثر من ألف شخص.. »

ضاقت عينا العميد مضيفًا:

- « فترة الأشهر الثلاثة لن تكفي.. قد يكون دخل مصر قبل ذلك.. اجعل دائرة البحث تشمل آخر ستة أشهر على الأقل.. »

فغر (مدحت) فاه.. مردِدًا باعتراض:

- « سيادة العميد هذا سيضاعف الرقم.. ونحن ... »

قاطعه العميد بحزم:

- « أريد النتيجة في أسرع وقت.. »

تنهد (مدحت) في صمت.. فهو يعرفه جيدًا.. وطالما قرر ذلك.. فلن يتراجع..

- « أمر سيادتك.. »

عاد العميد يسـأل:

- « ما أخبار دكتور (طارق)؟ »

(مدحت):

- « هذا ما أتيت للحديث مع سيادتك بشأنه.. »

وصمت لحظة.. ثم أردف بإثارة:

- « هناك مَنْ يراقبه؟ »

- « متأكد؟ »

- « لا.. لكننا سنحسم ذلك غدًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الزيارة الأخيرة..

انتهي علاج العجوز (شوكت).. وكاد (طارق) أن ينصرف دون عودة، لكنه لمح (أركان) عبر الشرفة، تهبط من سيارة أخري غير التي كانت تقلها المرة السابقة.. مع شخص مختلف..

حرك (شوكت) مقعده المتحرك بهدوء.. ودخل غرفته.. بينما انتظر (طارق) صعودها في توتر وغضب غير مبرر..

كان يود قول أشياء كثيرة.. أهمها مثلًا التعليق على مشروب (السيزارب).. والتي كانت تقدمه له باستهتار..

لكنه فجأة نسي كل شيء - كالعادة - بمجرد رؤيتها..

تقدم يصافحها قائلًا بعدم مشاعر واضحة:

- « لقد انتهي علاج جدك اليوم.. »

- « فعلًا؟ »

- « نعم.. ولم يعد هناك مبرر لقدومي.. »

وضعت حقيبتها تردد ببساطة:

- « انتهي الأمر سريعًا.. بعدما تعودنا عليك.. حتى (عزام) سيفتقدك! »

ابتسم (طارق) رغم إرادته.. يهمس كي لا يسمعه:

- « أنا لن أفتقده.. »

ضحكت.. قائلة:

- « لكننا حتمًا سنتقابل كل فترة.. »

- « طبعًا.. »

ران الصمت.. ولم يجد (طارق) ما يقوله سوي:

- « بعد إذنك.. »

(أركان):

- « انتظر.. سأقوم بتوصيلك.. »

- « لا داعي لهذا.. »

هزت كتفيها ببساطة:

- « كما تحب.. »

شعر (طارق) باللوعة الشديدة تعتصر قلبه.. فمن الآن عليه أن يعود إلي حياته السابقة بروتينية، بعدما أيقظت (أركان) شيئًا ما بداخله!

سأل نفسه بعصبية:

- « لماذا تبدو بهذا الضعف؟ لماذا لا تحاول الاقتراب؟ ما الذي ستخسره أكثر مما يحدث لك الآن؟ »

أجابه صوت آخر بداخله:

- « أنت تعرف أنها ليست من عالمك؟ »

هنا.. وجد (طارق) نفسه يتوقف عند الباب.. ويستدير قائلًا بجمود.. كأنه تحول لشخص آخر:

- « هل أستطيع الخروج معك؟ »

ضاقت عيناها تسأله بدهشة:

- « لماذا؟ »

- « لا أعرف.. »

ثم مط شفتيه محاولًا التبرير:

- « لقد تعودت دائمًا أن أعبر عن مشاعري، مهما كلفني الأمر.. وأنا أشعر بالسعادة حين رؤيتك.. ولكي أفهم حقيقة ما يحدث.. لا بد أن أقترب منك أكثر.. »

فَهِمت مقصده.. فابتسمت قائلة بجدية:

- « أشكرك على هذا الإحساس.. لكني لا أستطيع الخروج معك.. »

رغم توقع (طارق) للرد.. شعر بالضيق:

- « لماذا؟ »

(أركان) بمزيد من الجدية:

- « لأنك في كل مرة تعاملت معي فيها، كُنت ترتكب في حق شخصيتي.. ثلاث جرائم؟ »

(طارق) بدهشة:

- « أنا؟ »

- « نعم.. »

واقتربت تنظر في عينيه.. وتستطرد بقسوة:

- « أولًا: تتحدث بجدية وعمق لا أحبهما.. ثانيًا: أنت تجعلني دائمًا أقل سخرية.. وهذا ضد طبيعتي.. ثالثًا: أنت تحاول الاستحواذ والسيطرة على بأي طريقة.. وهذا أرفضه.. ولن يحدث أبدًا.. »

شعر (طارق) بالصدمة.. متمتمًا:

- « أنا أفعل كل هذا؟ »

بدت (أركان) في تلك اللحظة.. كأنها شخص آخر غير الذي يعرفه.. وهي تضيف بإصرار:

- « نعم.. تفعله بشكل غريزي.. لذلك تبدو عليك الدهشة الآن، إنه جزء أصيل من شخصيتك، لن تستطيع التخلص منه.. »

شعر (طارق) بالغضب.. قائلًا:

- « وأنت تمنحين نفسك إلي مَنْ لا يستحق.. كل الذين رأيتك معهم حمقي! »

قالت بتلذذ غير مفهوم:

- « وهل هذا يؤلمك؟ »

صارت كل عبارة تقولها.. تحمل له إهانة.. مما دفعه لأن يصمت لحظة، استجمع فيها بقايا كرامته.. قبل أن يقول بحزم:

- « لا طبعًا.. إنها حياتك في النهاية.. آسف على طلبي.. بعد إذنك.. »

وانصرف سريعًا.. يحمل قلبه الألم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صار التواجد على كافيه (شاهين) صباحًا، جزءًا من حياة (طارق) اليومية.. أيضًا (شلبي) المدمن على الشيشة التفاح والقهوة السادة.

رافقهما (حامد) دون اقتناع.. بعدما أصر (طارق) على اصطحابه، ربما بسبب تلك الحالة النفسية السيئة التي كان عليها.. أو عدم وجود حالات بالمركز.. المهم أنه أراد ألا يبقي منفردًا..

سحب (شلبي) الدخان من الشيشة التفاح.. قائلًا:

- « إنها ليست أول هزيمة في حياتك.. حاول النهوض.. »

ثم أخرج الدخان من فمه يملأ الأجواء.. مستطردًا بسخرية:

- « أعرف أنك تكتب يوميات منتظمة.. هذه التجربة ستجعلك تخرج بشيء جيد.. »

حذره (طارق).. قائلًا:

- « حتمًا لن نناقش هذا الآن.. وهنا.. »

مزيد من الدخان.. و (شلبي) يُضيف:

- « أنت من يريد هذا بشدة! »

(طارق) بدهشة:

- « أنا؟ »

- « نعم.. عيناك.. تشي بهذا.. »

تناول (طارق) بعض قهوته.. وتنهد بعمق كأنه يؤيد - فعلًا - رغبته في الكلام.. قبل أن يقول بعصبية:

- « ما يُثير جنوني.. أنها لم تترك لي فرصة للكلام.. »

ضاقت عينا (شلبي) لاعبًا دور أبو العريف إياه.. مردًا:

- « إنها تستنزف أعصابك.. حتى وقتما يحين الحصاد تكون جاهزًا؟ »

رغم حالته ابتسم (طارق) قائلًا بسخرية:

- « عن أي حصاد تتحدث أيها المخبول؟ يبدو أنك لم تسمعني جيدًا.. لقد انتهت العلاقة قبل أن تبدأ! »

(شلبي):

- « لا.. لم تنتهِ.. »

واقترب يهمس بإصرار:

- « تلك النهاية لا تناسبها.. ليس قبل أن تستهلكك تمامًا؟ »

(طارق) بمزيد من السخرية:

- « أنت فعلًا مجنون.. مِنْ أين تأتي بكل تلك الثقة؟ »

- « القواعد يا صديقي.. لا يستطيع أحد أن يتجاوز القواعد! »

قال (حامد):

- « أشعر أنني أجلس بينكما مثل الحمار.. »

أجابه (طارق) ببساطة:

- « موضوع شائك.. يطول شرحه.. »

(حامد):

- « لماذا أتيت معكما إذن؟ أنت تعرف أنني لا أحب الخروج بالنهار.. »

تدخل (شلبي):

- « لقد تَعَرف (طارق) على فتاة جديدة.. »

(حامد):

- « عظيم.. ما المشكلة إذن؟ »

(شلبي) وهو يُخرج الدخان من كل فتحات وجهه:

- « المشكلة أنها جميلة أكثر من اللازم.. دون قلب.. وصعبة القيادة.. »

(حامد) باستنكار:

- « أعرف تلك النوعية التافهة.. فارغة العقل.. »

ابتسم (طارق).. قائلًا ببساطة:

- « وإذا أخبرتك أنها ليست تافهة أو فارغة العقل.. ماذا سيكون ردك؟ »

ضاقت عينا (حامد).. قائلًا بتفكير:

- « إذن فهي أنانية.. ومنتمية لذاتها.. »

سَرح (طارق):

- « هذا أيضًا غير مؤكد.. »

ضحك (حامد):

- « يبدو أنك ستكتب فيها الشعر قريبًا.. »

نظر (شلبي) لـ (طارق).. قائلًا بجدية:

- « المشكلة الأكبر من وجهة نظري في تلك الفتاة تحديدًا، أنها تبدو أكثر منك خبرة.. وهذا ما يُسبب القلق.. وعدم التناغم بينكما.. فأنت تتعامل معها بنظرة كلاسيكية قديمة.. تجاوزتها منذ زمن.. »

أثارت العبارة اهتمام (طارق).. وجعلته يفكر.. بينما تدخل (حامد) يقول بسخرية:

- « دائمًا لا أفهم كلامك.. »

جَاوبه (شلبي) بنفس مستوي السخرية:

- « وأنا أيضًا لا أفهم وصلاتك.. »

هنا.. رن هاتف (طارق) بتلك النغمة الرومانسية، اتسعت عيناه بدهشة.. وتسارعت دقات قلبه.. قبل أن يتمتم بدهشة:

- « إنها هي!! »

(شلبي) بثقة.. وهو يسحب دخان الشيشة:

- « ألم أخبرك؟ رد عليها.. لكن لا تكن مُتلهفًا.. »

أومأ (طارق) برأسه.. ثم فتح الخط:

- « ألو.. »

(أركان) دون مقدمات:

- « هل تريد الخروج معي الآن؟ »

ارتبك (طارق).. متمتمًا:

- « هل أنت جادة؟ »

(أركان) بنفاد صبر:

- « العرض سينتهي.. »

أسرع (طارق) يقول:

- « طبعًا أريد الخروج معك.. »

(أركان) »

- « حالًا.. »

- « حالًا.. »

(أركان):

- « أين أنت الآن؟ »

(طارق) دون تفكير:

- « كافيه (شاهين).. »

ضاقت عينا (أركان) قائلة بتفكير:

- « هذا الكافيه القريب من المركز؟ »

- « نعم.. »

- « أعرفه.. لا تتحرك من عندك.. دقائق وسأمر عليك.. »

(طارق) بتلاحق:

- « لا.. انتظري.. لن يصلح أن ... »

انقطع الاتصال.. وشرد (طارق) ينظر للأفق..

(شلبي):

- « ماذا؟ ما الذي حدث؟ »

(طارق) بنفس حالة الشرود.. كأنه لا يصدق أن هذا يحدث:

- « قالت دقائق.. وستكون هنا.. »

(حامد):

- « هنا.. أين؟ »

- « هنا في المقهي!.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تعلق ذلك الشاب من الأطراف الأربعة في فراغ تلك الغرفة الواسعة الكئيبة، قبل أن يدلف (هيرمان) وخلفه (أدولف).. ينظر لوجهه ببرود صامت..

كان الشاب ينزف ببطء من جروح متعددة انتشرت في كل جسده.. فتح عينيه بصعوبة متمتمًا بصوت متحشرج:

- « أرجوك اقتلني.. »

اقترب منه (أدولف) يقول ببرود:

- « ليس قبل أن تعطيني ما تستحق أن نقتلك من أجله؟ »

ران الصمت.. والشاب يتنفس بصعوبة..

- « لماذا هرب منك ذلك (الجُوليارد)؟ ما الذي جعله يفعل هذا؟ »

الشاب في استسلام تام:

- « سأخبرك.. »

وازدرد لعابه يستطرد:

- « قبل الحادث بليلة، شاهدته يجلس أمام كمبيوتر الأخوية الرئيسي! »

ضاقت عينا (أدولف) بتوتر:

- « ماذا كان يفعل؟ »

- « لا أعرف بالضبط.. لكنه كان يبحث في القائمة الرئيسية للأعضاء.. »

ازداد توتر (أدولف).. وهو يمسكه من شعره بقسوة:

- « وكيف دلف إليها؟ إنها سرية تمامًا! »

- « لا أعرف.. لا أعرف.. »

دفعه (أدولف) بعصبية:

- « غبي.. غبي.. »

وابتعد يفكر.. قائلًا برعب:

- « لو تسربت القائمة.. سنكون في خطر.. »

أسرع (هيرمان) يقول:

- « لم يملك الوقت الكافي لفعل هذا.. »

صرخ (أدولف) في وجهه:

- « هل تضمن هذا؟ »

نظر (هيرمان) للأرض صامتًا.. قبل أن يهدأ (أدولف) قليلًا.. ويستطرد:

- « إعلان حالة الطوارئ للدرجة (ج)؟ »

ظل (هيرمان) ينظر للأرض قائلًا:

- « قد لا يتحمل الأعضاء الجدد تطبيقها.. »

(أدولف) بحزم:

- « لن أنتظر حتى أجد قوات الأمن تقتحم المكان.. »

اقترب (هيرمان) يتمتم:

- « لو كانت القائمة في يد الأمن.. لما كُنا هنا الآن.. »

(أدولف) بإصرار:

- « قد تكون في الطريق إليهم.. أو ينتظرون الوقت المناسب.. »

(هيرمان):

- « أو قد لا يكون لها وجود أصلًا؟ وكل هذا من نسيج خيالنا؟ »

صمت (أدولف) يفكر في كلامه.. و (هيرمان) يردف:

- « أما بالنسبة لقوات الأمن.. فأنت تعرف جيدًا أنهم لا يستطيعون اقتحام المقر.. هُمْ أو أي قوة أخري.. وحتى لو نجحوا في ذلك.. الطريق نحو الخارج آمن علينا تمامًا..»

(أدولف):

- « ولماذا نكون رد فعل؟ أو ننتظر حدوث كل هذا؟ »

- « ماذا تقترح؟ »

(أدولف) بحسم:

- « أريد ذلك الطبيب هنا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس الرائد (مدحت) والرائد (حمزة) واثنان من رجال المباحث، داخل عربة مغلقة مكتوب على جدارها من الخارج.. أدوات منزلية، يراقبون تلك السيارة

السوداء، التي كانت تقف على مقربة من مركز (أجزون)..

قال (مدحت):

- « هل تري تلك السيارة؟ »

(حمزة):

- « نعم.. »

- « نريد زرع ذلك الجهاز بها.. »

- « جهاز تتبع؟ »

- « نعم.. »

نظر (حمزة) للسيارة.. و (مدحت) يستطرد:

- « مع ملاحظة أننا لا نريد إثارة ريبة سائقها.. »

- « مفهوم.. »

عاد (حمزة) يتأمل السيارة عبر الشاشة الداخلية.. قائلًا بغيظ:

- « المشكلة أننا نراقب ذلك الوغد منذ قرابة الساعتين، دون أن يبرح مكانه ولو دقيقة واحدة! »

- « هذا يدل على أنه محترف.. »

فَكر (حمزة) قليلًا.. ثم قال:

- « تعلمنا في علم النفس الإجرامي.. أنه في لحظات الخوف تتساوي ردود الأفعال، فلا يصير هناك فارق بين شخص غبي وذكي! »

نظر له (مدحت) في فضول:

- « ماذا ستفعل؟ »

(حمزة) الذي بدا أكثر ذكاء في تلك اللحظة:

- « أنا.. لن أفعل شيئًا.. هو الذي سيفعل؟ »

وابتسم.. وهو يتصل بوحدة المباحث التابع لها مكتبه، طالبًا كلبًا مُدربًا.. شارحًا باختصار ما يريده..

أغلق الخط.. و (مدحت) يقول له بإعجاب لم يستطع مداراته:

- « فكرة جيدة.. ولكن كيف تضمن رد فعله؟ »

(حمزة):

- « أطلق الآن كلبًا شرسًا على شخصين، أحدهما حاد الذكاء.. والثاني في منتهي الغباء، ماذا تتوقع أن يحدث؟ »

أجابه (مدحت):

- « سيهرب الاثنان.. »

- « بالضبط.. الخوف يُعطل العقل.. ويجعل الغريزة هي التي تحكم، خاصة لو توفر عنصر المفاجأة.. »

جلس (مدحت) يتناول قهوة ساخنة.. أعدها له أحد الرجلين.. قائلًا:

- « أتمني هذا.. »

مر الوقت وظهر ذلك الشاب المائع يسير ببطء في الشارع.. برفقة كلب شرس ضخم.. فقال (حمزة) بإثارة:

- « لقد بدأ العرض.. »

نهض (مدحت) ينظر للشاشة بترقب.. حتى اقترب الشاب من السيارة السوداء، لكن من الناحية العكسية لجلوس السائق..

كان الزجاج الخلفي مفتوحًا.. وبمجرد أن أصبح الكلب بجوار السيارة، أعطاه المدرب تلك الإشارة السريعة..

فقفز الكلب عبر النافذة الخلفية.. وأصبح داخل السيارة برفقة السائق.. الذي صرخ.. وأسرع يهبط من الباب المجاور..

هنا اندفع الشاب يقول بعصبية:

- « ماذا تفعل؟ »

وأسرع يحاول السيطرة على الكلب.. لكن أثناء ما كان يفعل، زرع ذلك الجهاز الصغير بظهر المقعد الخلفي..

لم يأخذ الأمر منه أكثر من عشرين ثانية، كان بعدها الشاب يقف في الشارع برفقة الكلب.. ويقدم الاعتذار:

- « أنا آسف.. هل لديك لحوم في السيارة؟ »

السائق بعنف:

- « لا.. »

الشاب المائع:

- « غريبة.. إنه من النادر أن يفعل ذلك! »

وضحك.. وهو يلعب في فروة الكلب.. مردفًا بطريقة مقززة:

- « (جيمي) اجتماعي.. ويبدو أنه أحبك.. تستطيع أن تأخذ الكارت بالعنوان.. لو أنك أردت اللعب معه.. »

شعر السائق أن الشاب مخبول.. فقال بمزيد من العنف:

- « فلتذهب إلي الجحيم.. أنت وكلبك.. »

احتضن الشاب الكلب قائلًا في صدمة:

- « يااه.. متوحش.. »

وأسرع يهرب من أمامه.. كان رجال عربة الوسائل يسمعون الحديث.. فانطلقوا في الضحك دون توقف.. حتى سأل الرائد (مدحت):

- « مَنْ هذا الشاب؟ »

(حمزة):

- « النقيب (رامي) مسئول وحدة التدريب في الإدارة.. »

- « لقد أجاد دوره.. »

ظهرت أمامهم بؤرة مضيئة حمراء على إحدي الشاشات الداخلية.. فتمتم الرائد (حمزة):

- « بدأ عمله.. »

(مدحت):

- « عظيم.. نستطيع الابتعاد الآن.. »

عاد السائق للسيارة.. وأغلق النوافذ.. قبل أن ينتبه لتلك الإشارة الضوئية المُلحة.. التي أخذت تنبعت من شاشة صغيرة أمامه!

ضاقت عيناه لثوانٍ.. ثم قام بإرسال رسالة نصية عبر الجوال تقول:

- « لقد زرعوا جهاز تتبع بالسيارة.. »

لم يغب الرد سوي دقيقة:

- « تصرف بشكل عادي حتى تأتيك أوامر أخري.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لك أن تتخيل ما حدث، عندما أوقفت (أركان) عربتها الصغيرة على جانب الطريق، وهبطت تسير نحو كافيه (شاهين) ترتدي تلك التنورة الجلد القصيرة.. والحذاء ذا الكعب العالي..

كأن هناك زلزالًا أصاب المنطقة.. حدقت بها كل العيون.. خاصة المعلم (عباس) صاحب الكافيه.. والذي أخذ يسعل بشدة، نتيجة نسيانه إخراج دخان الشيشة من صدره..

أشار لفتي القهوة أن يهتم بها.. والحقيقة أن (أمين) لم يكن يحتاج لذلك.. فقد أسرع يستقبلها متطوعًا.. وهو يقول في بلاهة:

- « أي خدمة يا ست الكل؟ »

خلعت (أركان) نظارتها الشمسية تقول ببساطة:

- « دكتور (طارق) لو سمحت.. »

ظل (أمين) ينظر لها في بلاهة.. كأنه لم يسمع ما قالته.. قبل أن يزدرد لعابه.. ويردد قائلًا بارتباك:

- « تفضلي يا ست الكل.. تفضلي.. »

وأسرع يسبقها يُمهد الطريق.. ويدفع كل مَنْ يقابله أمامه.. لدرجة أضحكتها.. مما جعله يصاب بالحماس ويتمادي أكثر..

- « لديك ضيوف يا دكتور (طارق).. »

دلفت (أركان) تتأمل المقهي من الداخل.. والذي أصابه الصمت تمامًا.. وتوقف كل مَنْ فيه عما يفعل ويتأملها..

- « رائع.. مكان رائع.. يُذكرني بكافيهات (إسطنبول).. »

شعر (طارق) بالإحراج الشديد.. وهو يجذبها من يدها؛ لتجلس بجواره.. يردد:

- « الناس هنا غير مُعتادة على دخول النساء.. »

تأملت الوجوه التي تحدق بها بشدة.. قبل أن تقترب منه.. وتهمس ببراءة:

- « لماذا؟ »

(طارق):

- « سأشرح لك ذلك في وقت آخر.. أما الآن فعلينا أن نغادر فورًا.. »

رفضت اقتراحه.. وهي تضع حقيبتها على المنضدة التي أمامه قائلة:

- « ليس قبل أن أتناول قهوتي.. »

- « سنأخذها في مكان آخر.. »

- « ولماذا ليس هنا؟ »

تدخل (شلبي) يقول:

- « معك حق.. لماذا ليس هنا؟ »

هز (طارق) رأسه بيأس.. وهي تنظر لـ (شلبي) قائلة برقة متعمدة:

- « أنا أذكرك.. أنت... »

أسرع يقاطعها مضيفًا:

- « دكتور (شلبي) زميل دكتور (طارق).. »

صافحته:

- « نعم لقد رأيتك في المركز.. »

أكمل التعارف:

- « وهذا المهندس (حامد) مدير الصيانة.. »

- « أهلًا بكم.. »

كانت (أركان) تُجيد التظاهر بالحياء والضعف.. لدرجة أنها تسحق - مبكرًا - مقاومة أي رجل يقف أمامها..

إنها تدفعهم دفعًا للتبعية.. فكل طلباتها يتم تنفيذها دون أن تبرح مكانها..

ورغم أن أي رجل كان يتعامل معها.. يعرف يقينًا بشكل مُسبق، أنه لن يحصل على شيء.. إلا أن غالبيتهم كان يرضي بتلك الابتسامة التي قد تمنحه إياها، بعد تنفيذ رغبتها..

إنها كالصاعق الذي يجذب الناموس.. رغم النهاية الحتمية التي تنتظرك.. تسير إليه بصدر رَحب..

فأنت إن ادعيت القوة أو الترفع.. سيتقدم غيرك لتقديم الخدمة.. الطابور طويل..

- « ماذا تشربين؟ »

كان هذا سؤال (طارق)..

- « قهوة تركي.. هل تستطيع صناعتها؟ »

انتفض (أمين) يردد:

- « طبعًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم التالي لفضيحة كافيه (شاهين)..

اتفقت (أركان) مع (طارق) - كنوع من العبث - أن يسمح كل طرف للآخر أن يدخل عالمه دون قيود.. كشرط أساسي لاستمرار العلاقة بينهما.

وافق (طارق) من باب أنه لن يخسر شيئًا في كل الحالات.. تاريخه حافل بالعلاقات المُحطمة.. وحتمًا لن يتألم كثيرًا، لو قررت الرحيل.

دلف إلي الجامعة الأمريكية في حدود الساعة الخامسة مساء، موعد انتهاء آخر (session) لها، مثلما أخبرته.

جلس في تلك القاعة التي تعج بالشباب ينتظرها..

الكل تقريبًا كان معه رفقة ما ويضحك.. عدا هو.. فلم يجد ما يفعله سوي ممارسة عادة تحليل الوجوه.. لقتل الوقت..

أول ثنائي قرر تحليله.. كان صديقًا يتكلم مع صديقه مستخدمًا في كل كلمة ينطقها لغة الجسد، بينما أخذ الآخر يضحك بشكل مبالغ فيه، لا يتناسب مع عمق المزحة التي قالها الأول..

طبعًا ستسألني في تخابث.. كيف عرفت وأنت لم تسمعها أصلًا؟

سأخبرك.. أنه لا يوجد مزحة على كوكب الأرض قد تجعل شخصًا يصاب بتلك الهيستريا.. إلا لو كان يوجد به شيء ليس على ما يرام..

الأول.. مترفع.. مكتفٍ.. نافذ الصبر.. يُجيد وضع الآخرين على الخط الساخن.

والثاني.. ثقته في نفسه غير مُكتملة.. يسعي لإرضاء الآخرين على حساب نفسه، يصاب بالاكتئاب سريعًا.. ويحب العزلة.

انتقل (طارق) إلي جروب من الفتيات.. ثلاث فتيات تحديدًا..

الأولي.. كان يبدو عليها الزعامة والقوة والصرامة، تنظر للجميع حين تتحدث، مُقتبسة من الأم في صرامتها.. غالبًا لا يوجد في أي شلة بنات سوي فتاة واحدة فقط تصلح لهذا الدور، لأن وجود اثنتين يعني الحرب.

الثانية.. الحائرة.. والتي تحسب جيدًا كل شيء تفعله، لاعتقادها أن الجميع يُراقبها، حتى تناولها لشطيرة الهامبرجر، لا بد أن يكون قطعة صغيرة جدًّا كل مرة، فمن المؤكد أن هناك من يُراقب.. وربما يوجد من يقوم بتصويرها الآن

فيديو لأهمية الحدث، إنها تختلس النظرات كل ثانية؛ لتخرب بيت مَنْ سيفعل ذلك.

الثالثة.. الجميلة.. المترفعة.. منسدلة الشعر، إنها مريضة بداء تحريك خصلات شعرها أثناء الحديث.. إنها تحركه كل ثانية تقريبًا، أكثر مما تُحرك رموش عينيها، هذا يجعلها أكثر فتنة أكيد..

تنهد (طارق) ونظر في ساعته يردد بسخرية:

- « ماذا أفعل هنا؟ »

لم يحمل عقله سوي إجابة واحدة منطقية.. لقد حضر للعذاب..

اقتحمه فجأة صوت (أركان) يقول من الخلف:

- « تأخرت عليك؟ »

(طارق) بسخرية:

- « لا أبدًا.. إنها السادسة تقريبًا.. وموعدنا كان في الخامسة.. »

ضحكت:

- « إنه (مايكي).. السبب في التأخير.. »

وأشارت إليه.. فاستدار (طارق) ليجده واقفًا خلف ظهره، ابتسامة سخيفة.. ثم عبارة ترحيب باردة:

- « هالو (مايكي).. »

الأخير ببرود مقابل:

- « أهلًا.. »

ثم نظر لـ (أركان) يقول:

- « سأتصل بك ليلًا.. باي.. »

وانصرف دون أن ينظر لـ (طارق).. الذي تابعه يبتعد في استياء.. قبل أن يسألها:

- « ما الذي يروق لك فيه؟ »

أجابته بجرأة:

- « مختلف.. »

لم يقتنع (طارق) بالإجابة.. وهي تستطرد:

- « أيضًا يفكر بطريقة مُبتكرة تجعلني ... »

قاطعها (طارق) بسخرية:

- « حتمًا لم أحضر اليوم للحديث عن (مايكي)! »

توقفت تضحك:

- « معك حق.. »

ثم تلفتت حولها تبحث عن عامل البوفيه.. مُضيفة:

- « هل طلبت شيئًا تشربه؟ »

- « قبل ذلك.. لدي سؤال.. »

- « تفضل.. »

نظر إليها بعمق.. قائلًا:

- « ما الذي جعلك تُغيرين رأيك؟ »

قالت دون أن تتوقف عن البحث:

- « في ماذا؟ »

- « مقابلتي؟ »

تنهدت قائلة ببساطة:

- « لا أعرف.. ربما استمتعت بكل ما حدث بيننا.. أو افتقدت نفسي معك! »

(طارق) بسخرية شملت بعض الغرور:

- « هذا تطور جيد في العلاقة.. »

(أركان) ضاحكة:

- « لا تجعل خيالك يذهب بعيدًا.. فأصلًا لن يكون هناك علاقة.. »

(طارق) بغيظ:

- « علاقة أصدقاء ليس أكثر.. »

(أركان) بمرح:

- « لا أصلح لتلك المهنة.. صدقني.. »

زم (طارق) شفتيه بمزيد من الغيظ.. قائلًا:

- « المفروض بعد تلك العبارة أن أنهض.. ولا أعود.. »

- « ولماذا لا تفعل؟ »

(طارق):

- « أشعر أنه لا بد من ملاحقتك.. »

ضحكت في هيستريا.. قبل أن تقول بغرور:

- « اطمئن.. كل مَنْ جلس مكانك يومًا، شعر بنفس الإحساس.. »

عاد (طارق) يزم شفتيه في غيظ، لكنه أمام ضحكها المتواصل.. وبساطتها.. قرر أن يستمتع بوقته معها دون تعقيدات..

حضر العامل.. فطلب (طارق) مشروبا غازيًّا.. بينما همست هي في أذن العامل بطلبها..

انصرف.. فسألها (طارق) في توجس:

- « ماذا طلبتِ؟ »

اقتربت تهمس:

- « السيزارب طبعًا.. »

هز رأسه في رفض:

- « هذا سيدمرك.. »

- « إنه ليس كما تظن.. »

حاصرها (طارق):

- « طالما هو مشروب عادي.. لماذا هَمستِ للعامل باسمه سرًّا؟ »

- « حتى يصنعه بطريقة معينة.. »

- « لا أصدقك.. »

(أركان) بعناد:

- « طالما أنت متأكد.. وفر مجهودك إذن.. لن أتوقف عن تناوله.. »

ثم نظرت إليه.. تستطرد بشرود ساخر مُفتعل:

- « لا نهاية بالأفق.. »

ثم عادت تضحك.. حتى ران الصمت..

عندئذ حاول (طارق) تغيير الموضوع.. قائلًا:

- « ما هو كتابك المفضل؟ »

هزت (أركان) رأسها.. مُتمتمة:

- « آه.. هكذا ستكون بدايتك إذن؟ كُنت أظنك أكثر إبداعًا من هذا! »

- « لماذا؟ »

(أركان) بجدية.. لا تتناسب مع ما كانت عليه من مرح منذ قليل:

- « لأنك حتمًا ستقول لي عناوين كتب كثيره تُحبها، تدور في فلك نفس عنوان الكتاب الذي سأخبرك به، كي تحاول التأثير علي.. قُلت لك لن تفلح.. لأنني ببساطة لا أريد الحب.. أو حتى التورط في أي مشاعر، هل صار ذلك واضحًا لك الآن؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العميد (شريف).. بعدما قرأ ذلك التقرير في اجتماع مع رجاله:

- « أشعر أن تلك السيارة طعم.. تُرك لنا للإلهاء.. حتى نبتعد عن الهدف الحقيقي الذي يستهدفونه.. »

الرائد (مدحت):

- « لماذا تقول هذا يا سيدي؟ »

- « لأنهم لو كانوا بتلك الحماقة التي يحاولون إظهارها لنا.. لكانوا قد سقطوا منذ زمن! »

تدخل أحد الرجال قائلًا:

- « نفس إحساسي يا فندم.. هذا الرجل لا يراقب سوي المركز فقط.. بمعني أنه لا يتحرك وراء دكتور (طارق) في أي مكان يستهدفه.. وعندما يأتي المساء.. يذهب لذلك الفندق يسهر ويشرب حتى منتصف الليل.. ثم يصعد لغرفته ينام.. »

(مدحت):

- « لكن يظل السؤال.. ما هدفهم الحقيقي؟ ولماذا يراقبون دكتور (طارق)؟ »

زوي العميد (شريف) ما بين حاجبيه يفكر:

- « هذا ما يجب أن نُجيب عنه سريعًا.. »

قال صوت آخر:

- « قد يكون هناك عنصر آخر.. هو من يراقب دكتور (طارق) أثناء تحركاته.. »

نفي (مدحت).. قائلًا:

- « لا.. لقد تأكدنا أن ذلك لا يحدث.. »

صوت ثالث:

- « أقترح أن نقبض على ذلك الشخص ونحقق معه.. »

(العميد):

- « ليس لدينا شيء ضده.. »

(مدحت):

- « والعمل يا فندم.. الوقت يمر.. ولا نصل لشيء.. »

(العميد):

- « ما أخبار ما طلبته منك؟ »

- « جارٍ إعداده.. لكن القائمة طويلة.. »

(العميد):

- « حاول استعجالهم.. ولو شعرت أن الوقت سيطول.. اطلب المساعدة من المخابرات.. »

الصوت الثالث بإحراج:

- « تعرف سيادتك أن ذلك صعب.. خاصة في الوقت الحالي.. »

(العميد) بانفعال:

- « إنها قضية أمن قومي.. وحتمًا سيقدمون المساعدة لو طلبتها.. »

- « تمام يا فندم.. »

عاد (مدحت) يسأل:

- « وبالنسبة لدكتور (طارق)؟ »

- « طبعًا لا تتوقف عن مراقبته.. راقب أيضًا تلك الفتاة التي يقابلها.. »

ابتسم (مدحت) مردِدًا:

- « ليس لها علاقة بالأحداث.. »

هز (العميد) رأسه قائلًا:

- « لا أشعر تجاهها بالارتياح.. »

(مدحت) بعدم اقتناع:

- « حاضر يا فندم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

« اكتئاب تحت السيطرة »

هذا ما شعر به (طارق) صباح ذلك اليوم؛ لسببين: الأول ما حدث له أمس في الجامعة الأمريكية على يد (أركان)!

فرغم وضوحها معه تمامًا في عنوان علاقتهما، إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الألم؛ لقد تلقي جرعة عذاب تكفيه عامًا.

والسـبب الثـاني هو أن اليوم عيد الربيـع.. أو ما يفضــلون تسميته بعـيد (شم النسيم).. فأي شخصية هستيرية تحترم ذاتها، لا بد وأن تكتئب في الأعياد!

الهستيري الذي يحاول الخروج من المنزل يوم العيد.. أو يحاول الاستمتاع بوقته كبقية البشر، أظنه ليس على ما يرام! وعار على كل الهستيريين.

و (طارق) كما يعرف غالبيتكم، هستيري قضي غالبية عمره بغرفة مغلقة يُذاكر تحت غطاء وَهم عبارة: « اتعب الآن قليلًا.. كي ترتاح في المستقبل »

وبعدما وصل لسن الحصاد والمسئولية شعر أنه وحيد، تبرأ منه المجتمع.. وتركه دون مساعدة، هنا كان لا بد من فعل شيء ما، كوسيلة هروب.. وإلا أُصيب بالجنون..

فلم يجد أمامه سوي قراءة الروايات خلسة ليلًا.. وممارسة الكتابة والهستيرية صباحًا.. هذا جعل حياته أكثر احتمالًا.

ابتسم في سخرية.. ثم أخذ نفسًا عميقًا.. مردِدًا بحسم:

- « لن أري تلك الفتاة بعد اليوم.. هذا القرار نهائي لا رجعة فيه.. »

شعر (طارق) بالارتياح.. بعدما ترددت تلك العبارة في رأسه أكثر من مرة، لكن فجأة رن الهاتف بنغمتها..

- « ماذا ستفعل؟ »

تسارعت نبضات قلبه.. متمتمًا:

- « إنه اختبار لإرادتك.. »

يُفكر بتردد:

- « حسنًا.. يمكنك الرد.. لكن كي ترفض طلبها.. هكذا ستكون الأمور.. »

ضاقت عيناه في حسم.. أخذ نفسًا عميقًا.. ثم فتح الخط..

وبمجرد أن سمع صوتها.. نسي كل قراراته الانفعالية التي أخذها منذ ثوانٍ..

- « ماذا ستفعل الليلة؟ »

مط (طارق) شفتيه:

- « غالبًا لا شيء.. »

- « عظيم.. ما رأيك أن نحضر معًا حفلة؟.. »

(طارق):

- « حفلة؟ »

(أركان) بحماس:

- « نعم.. حفلة الربيع.. لن تنساها أبدًا؟ »

لم يغب رد (طارق) كثيرًا:

- « متي؟ »

- « العاشرة مساءً.. »

- « حسنًا.. سأنتظرك.. »

(أركان):

- « يستطيع صديقك دكتور (شلبي) أن يأتي على فكرة.. »

تنهد (طارق):

- « سأخبره.. »

انتهت المكالمة.. ولام (طارق) نفسه في غيظ.. قبل أن يتلقي هاتفه رسالة نصية تقول:

- « أمك مريضة.. »

ضاقت عيناه في قلق.. ونسي (أركان).. وكل شيء.. وسيطر على عقله أمر واحد فقط.. وهو أنه عليه الذهاب فورًا إلي البلدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الحتمي في كل رواية.. زيارة للبلدة.

كان طارق لا يستطيع الابتعاد كثيرًا عن جذوره.. فهنا كانت البداية.. وحتمًا ستكون النهاية..

في كل مرة يعود؛ لالتقاط أنفاسه.. أو ممارسة الهدوء.. يرتدي تلك الملابس الواسعة.. ليتم علفه بالطعام كل يوم.. ولا يعرف كم الساعة.

كم نالت الحضارة.. والتطور من براءة تلك القرية التي لم تتلوث بعد كليةً، فالأمور هنا تتغير ببطء..

والغريب أن (طارق) كان في الماضي يعترض على هذا.. ويعتبره تخلفًا.. لكنه الآن.. بعدما غرق في توتر المدينة.. صار يعشق ذلك الركود.. وعدم التغير!

فالتغير البطيء الهادئ، يجعلك دائمًا تمتلك مساحة كافية من الوقت للتأقلم، مما قد يسمح لك بالرفض أو الانتقاء..

أما فرض التغيير السريع.. فيجعلك لا تملك حتى فرصة الاعتراض.

ابتسم (طارق) حين دنا من منزلهم.. فقد كان من عادته قبل سفره تَرك حجر صغير فوق السور بجوار غرفته..

إنه الحجر الذي يبحث عنه بلهفة عندما يعود في الزيارة المقبلة..

الغريب أنه مهما تأخر.. كان دائمًا يجد الحجر في مكانه.. كم كان يشعر بالهدوء والألفة تجاه ذلك!

كانت أمه جبروتًا.. ولا تدعي الضعف أبدًا أمامه.. حتى ولو كانت تشعر به.. أضف أنها لم تقتنع به يومًا كطبيب..

إنه لا يذكر مرة واحدة.. اعتمدت عليه في مرض أصابها، كان (عبد العاطي) حلاق صحة المركز هو بطل الأحداث دائمًا!

دلف (طارق) إلي صحن المنزل.. فوجده هادئًا عكس عادته!

نادي على أي أحد.. لكن ظل الصمت يغلف الردهة، حتى ظهرت (ناهد) التي ورثت جزءًا من طباع أمها الحادة.. تقول:

- « حمدًا للَّه على السلامة يا دكتور.. لماذا لم تخبرنا كي ننتظرك في المحطة؟ »

كانت لهجتها - كالعادة - تحمل بعض التمرد والتهكم.. سألها مباشرة:

- « في إيه؟ »

زوت (ناهد) ما بين حاجبيها.. قائلة بمزيد من التهكم:

- « أمك مريضة.. وابنها دكتور.. لقد أكلت الناس وجهنا.. »

(طارق) في غيظ:

- « وكيف لي أن أعرف أنها مريضة؟ ولم يُبلغني أحد بشيء! »

كانت تلك هي إحدي أهم مشكلاته مع العائلة بعدما صار طبيبًا.. فلو أن أحدهم أصابه المرض، يتعمد ألا يبلغه بشيء!

كنوع من الترفع.. أو تلذذ الشعور بالاستشهاد..

وعند انتقادهم.. تجدهم يقولون:

- « لا نريد تعطيلك.. »

غير المفهوم في نفس الوقت، أنهم يلومونه بشدة على عدم الاهتمام.. رغم عدم معرفته بأمورهم..

هنا.. لم يعد أمام (طارق) سوي زرع جاسوس بينهم لمعرفة الأحداث.. فكان الطفل (عمر) ابن أخته (ناهد).. والذي أرسل له صباحًا رسالة مختصرة تقول:

- « تيتة مريضة.. »

تجاوز (طارق) الموقف.. متسائلًا:

- « أين هي؟ »

- « في غرفتها.. »

دلف (طارق) على أمه.. فوجدها تنام على سريرها.. وتقف بجوارها (سعدية) أخته الثانية.. الهادئة قليلة الحظ..

- « سلامتك يا أمي! »

ابتسمت الأم.. والتي لم يبدُ على وجهها أي علامات المرض الحقيقية.. وهي تقول بحب:

- « لو أنك تسأل؟ كنت عرفت.. »

كاد (طارق) أن يتقدم نحوها.. لولا أن تدخل صوت أجش يعرفه جيدًا.. ويكرهه في ذات الوقت.. يردد:

- « اطمئن.. إنها بخير.. بعد هذه الحُقنة إن شاء اللَّه ستشفي الحاجة.. »

استدار (طارق) ببطء صادم.. ليجد (عبد العاطي) حلاق صحة المركز، يجلس يُعِد ذلك المحقن.. ويحمل تلك النظرة الشامتة..

(طارق) بانزعاج:

- « ماذا تفعل هنا؟ »

- « أعالج الحاجة كما تري.. »

تقدم (طارق) يلوح بيده.. متمتمًا بغضب:

- « تفضل انصرف.. لا أريد رؤيتك هنا.. »

نظر (عبد العاطي) لأمه يستغيث.. فقالت:

- « عيب كده يا دكتور.. الراجل ضيف عندنا.. »

(طارق) بمزيد من العصبية:

- « من فضلك يا أمي.. كم مرة طلبت فيها عدم دخول هذا الشيء إلي هنا؟! إنه السبب في نصف أمراض القرية.. »

(عبد العاطي) بتأثر مفتعل:

- « اللَّه يسامحك.. تذكر أنني مَنْ كان يعالجك وأنت صغير.. »

- « القرية تفشي فيها فيروس (سي) بسببك.. »

فتح (عبد العاطي) فمه يسأل:

- « ما فيروس (سي) هذا؟ »

لم يستطع (طارق) تمالك أعصابه أكثر من هذا، أمسكه من جلبابه خلف عنقه.. وأخذ يجره للخارج.. قابلتهما (ناهد) تردد بانزعاج:

- « ماذا تفعل يا دكتور؟ »

لم يجبها (طارق) بكلمة.. واستمر في طريقه.. وهي تستطرد بمرح:

- « لا مؤاخذة يا عم (عبد العاطي).. »

ورمي به (طارق) خارج الدار.. عدل (عبد العاطي) ملابسه.. قائلًا بكوميديا جادة:

- « كل وقت وله أذان.. واللَّه لولا الحاجة.. لكان لي معك تصرف آخر.. جِيل قليل الأدب.. »

صفع (طارق) الباب في وجهه.. وعاد لأمه التي قالت:

- « لم يكن هناك داعٍ لما فعلته مع عمك (عبد العاطي).. أنت أكبر من هذا.. أيضًا الرجل يُغيثنا وقتَ غيابك.. »

(طارق):

- « ليس له فائدة.. »

تدخلت (ناهد) بجدية:

- « لا.. في هذا أخالفك الرأي يا دكتور، عندك الأسبوع الماضي مثلًا.. لولاه لما استطعنا توليد الجاموسة.. »

ران الصمت للحظة، لم يقوَ (طارق) خلالها على مقاومة الضحك.. وهو يقول:

- « في هذا أتفق معك.. لأنه لا يُجيد سوي التعامل مع البهائم.. »

ضحكت الأم.. وكذلك (سعدية)، وسادت أجواء البهجة.. التي لا تصيبهم إلا عندما يحضر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « ما هذه الشياكة؟ »

كان هذا سؤال (عمران).. وهو يتأمل (عبد السلام) الذي كان يرتدي ملابس جديدة.

- « اليوم (شم النسيم).. وقد وعدت (صفاء) بالخروج معها للقناطر.. »

هرش (عمران) رأسه.. متسائلًا بحيرة:

- « ألم يكن اسم خطيبتك (نجلاء)؟ »

(عبد السلام) في سعادة:

- « لا.. لقد تركت (نجلاء) منذ شهر.. »

مط (عمران) شفتيه.. متسائلًا بسخرية:

- « أريد فقط أن أعرف.. ما الذي يعجبهم فيك؟ »

(عبد السلام) بترفع:

- « الشخصية.. »

ضحك (عمران) قائلًا:

- « تعالَ.. »

وأخذ يسحبه حتى توقف به أمام مرآة.. مردِّدًا بمزيد من السخرية:

- « هل تُصدق حقًّا أن تلك الملامح عندها شخصية! »

لكزه (عبد السلام) قائلًا بغيظ:

- « سأقدر حالتك.. فأنا أعرف أنك لم تعرف أنثي في حياتك؟ »

شاكسه (عمران) ضاحكًا:

- « هل أخذت إذنًا من الدكتور (طارق)؟ »

تلفت (عبد السلام) حوله.. ثم اقترب من (عمران) يهمس:

- « دكتور (طارق) ليس هنا.. ذهب إلي قريتهم.. وغالبًا لن يعود إلا بعد أسبوع.. »

- « كيف عرفت ذلك؟ »

استمر يهمس:

- « سمعته يُخبر (عثمان) بذلك قبل سفره.. »

(عمران) بمزيد العناد:

- « هذا لا يعطيك الحق في ترك العمل دون إذن.. »

(عبد السلام) في رجاء:

- « إنها أربع ساعات.. والمركز كما تري.. لا يدخله حالة واحدة.. »

وافق (عمران) أن يحل محله، لحين عودته.. لكن (عبد السلام) عاد يستطرد:

- « تبقي مشكلة؟ »

- « إيه؟ »

- « أريد بعض الأغاني الشعبية.. »

(عمران) بعدم فهم:

- « لماذا؟ »

- « من أجل (DJ) المركب.. »

(عمران) باستمرار عدم فهم:

- « حتمًا سيكون على المركب أغانٍ شعبية! »
- « أعرف.. لكنها ستكون أفضل لو أتيت أنا بها.. هذا يُثير خيال النساء.. »
نظر له (عمران) ثواني في بلاهة.. ثم ابتسم قائلًا:
- « تمام يا (روميو).. »
ثم أشار نحو غرفة الصيانة يردف:
- « المهندس (حامد) هو مَنْ سيُفيدك في هذا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قهوة.. ورائحة السجائر..
يدلف (عبد السلام) يصيح:
- « صباح الخير على أجمل مهندس.. »
بدا على (حامد) أنه لم ينم منذ أمس.. يقول بإرهاق:
- « أهلًا (عبد السلام).. خير؟ »
- « كل خير إن شاء اللَّه يا هندسة.. »
ثم يقترب يتمتم في رجاء:
- « اليوم سأخرج مع خطيبتي.. ونريد أن نحتفل.. »
- « وما علاقتي بخطيبتك؟ »
يضحك (عبد السلام):
- « كل خير.. »
ثم يخرج فلاشة كمبيوتر من جيبه الخلفي يستطرد:
- « أريد عليها بعض الأغاني الشعبية.. »
يبتسم (حامد).. وهو يلتقطها منه قائلًا:
- « لست أدري هل يوجد على الجهاز أغانٍ أم لا؟.. »
- « إن شاء الله يكون فيه.. »
يُوصل (حامد) الفلاشة بالكمبيوتر.. ثم يسأله:
- « هل تفضل مطربًا معينًا؟ »

(عبد السلام) بحماس:

- « مهرجانات.. »

يهز (حامد) رأسه بعدم رضا.. ثم يفتح الفلاشة، وجدها ممتلئة.. رغم ذلك لا يظهر أمامه أي ملفات.. يسأل (حامد):

- « هل تحتفظ عليها بشيء.. »

(عبد السلام) بارتباك غير مبرر:

- « لا.. »

تضيق عينا (حامد).. وهو يردد:

- « غريبة.. الفلاشة عليها ملفات مخفية.. »

(عبد السلام):

- « مخفية.. لقد اشتريتها أمس جديدة.. »

أخذ (حامد) يحاول إظهار الملفات ليحذفها، كي يُفرغ مساحة، لم يستطع، يتراجع في مقعده قائلًا بإرهاق:

- « الفلاشة تحتاج إلي صيانة.. وقد يأخذ هذا بعض الوقت.. »

- « هل ستغيب؟ »

يمط (حامد) شفتيه قائلًا:

- « لا أعرف.. قد يتطلب الأمر ساعة أو اثنتين.. أو ربما أكثر، حسب المشكلة.. »

- « والرحلة؟ »

(حامد):

- « سأعطيك فلاشة أخري.. لكن عليك إرجاعها.. »

تهللت أسارير (عبد السلام) كالأطفال.. يتمتم:

- « طبعًا يا باشمهندس.. »

لبي (حامد) طلبه.. وانصرف (عبد السلام)..

لكن بدلًا من أن يطفئ (حامد) الأجهزة.. ويذهب للنوم، وجد نفسه يُعيد توصيل الفلاشة بالكمبيوتر.. ويبدأ البحث..

أول ما حاول فعله.. هو تعريض الفلاشة للأمر (format) لكن ظلت الفلاشة لا تستجيب..

حاول صنع نسخة منها على الكمبيوتر.. أيضًا لم يستطع!

استفزه الأمر.. فتناول بقايا القهوة في فنجانه.. وغرق في صيانة الفلاشة.. حتى مر عليه أكثر من ساعتين، دون أن يتحرك من مقعده..

توقف يتمتم في تفكير:

- « إنها تحتاج إلي برنامج فك شفرات متطور.. »

فتح الإيميل (email) الخاص به.. وأرسل رسالة لأحد أصدقائه في قارة أخري.. أتاه الرد سريعًا يقول:

- « تعرف أن ما تطلبه هذا برنامج سطو إلكتروني؟ »

- « أعرف.. »

تحول الاتصال المكتوب إلي اتصال صوتي..

- « لماذا تريده إذن؟ هل سوف تسطو على بنك؟ »

يبتسم (حامد):

- « أريد إظهار ملفات مخفية على فلاشة.. »

- « أنت تعمل في مجال التجسس إذن؟ »

يضحك (حامد).. والصوت يستطرد:

- « إنه عندك في المرفقات.. »

يحاول (حامد) تنزيل البرنامج المُرسل.. وفك ضغطه لم يستطع.. عاد يقول:

- « البرنامج ثقيل جدًّا.. لا يريد أن ينزل على الجهاز.. »

يصمت الصوت قليلًا.. ثم يقول:

- « ليس أمامك إذن.. سوي السماح بدخولي لجهازك.. لأقوم أنا بذلك من عندي، لكن هذا خطير.. فهناك جهات أمنية تتعقب تلك البرامج عقب ظهورها على الشبكة.. »

(حامد) بتردد:

- « لن نأخذ سوي دقيقة.. »

الصوت الإلكتروني:

- « تذكر أنه كان اختيارك.. »

ذهب الإرهاق من عيني (حامد).. وانتابته الإثارة.. وهو يسمح بربط الأجهزة عبر الإنترنت..

- « تم الأمر.. »

وفجأة انقطع الاتصال؛ ليظهر أمام (حامد) محتوي الفلاشة..

ملفات كثيرة مضغوطة.. قام بفردها، في اللحظة التي رصدت فيها موقعه، أعلى جهة سيادية أمنية في مصر.. (المخابرات العامة المصرية).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اطمأن (طارق) على أحوال أمه الصحية.. وتم إعداد البط والفطير والعسل.. وكل خير القرية المعتاد.. لكن (طارق) لم يكن ينوي البقاء هذه المرة.

جلس يتناول غداءه بفتور بينهم.. قبل أن تقول الأم مباشرة:

- « سوف تسافر الليلة.. أليس كذلك؟ »

شعر (طارق) بالإحراج.. قائلًا:

- « لقد أتيت دون استعداد.. والـ ... »

قاطعته الأم بحنان:

- « لا عليك.. »

ثم نهضت تربت فوق كتفه تستطرد:

- « سأرتاح في غرفتي.. بعد إنهاء غدائك أريدك.. »

توقف (طارق) عن تناول الطعام.. وأخذ يتأملها حتى دلفت لغرفتها.. قبل أن يسأل إخوته:

- « أشعر أنها متغيرة.. هل هناك شيء لا أعرفه؟ »

نظرت (سعدية) لـ (ناهد).. قبل أن تهمس الأخيرة:

- « إنها تتصرف هكذا منذ أن أتي ذلك الخطاب.. »

مسح (طارق) يديه من آثار الطعام..

- « أي خطاب؟ »

- « خطاب من أمريكا.. من خالك (عبد ربه).. »

زوي (طارق) ما بين حاجبيه.. يتمتم بدهشة:

- « خالي (عبد ربه)؟ هل ما زال على قيد الحياة؟ »

- « لا.. إنها عرفت أمس فقط أنه توفي.. »

تنهد (طارق).. بعدما فهم الأمر:

- « إنها حزينة عليه.. »

ثم نهض يغسل يديه.. ويذهب إلي أمه.. حاول أن يداعبها، لكنها لم تستجب.. أمسك يديها.. ونام بجوارها يردد:

- « حسب ما أعرف أن خالي هاجر إلي أمريكا بعد عام (٦٧).. وانقطعت أخباره.. لدرجة أننا قلنا إنه توفي، ما الفارق الآن لو عرفنا ذلك بشكل رسمي؟!.. »

تكونت الدموع في عيني الأم:

- « إنه أخي الوحيد.. »

وأخرجت الخطاب الذي يحمل أختامًا رسمية كثيرة.. تردف:

- «وابنه (عمر) ([16]).. »

ابتسم (طارق) في إثارة.. وهو يأخذ منها الخطاب.. وصورة حديثة لابن خاله..

- « إنه في مثل سنك تقريبًا.. يعيش في أمريكا وحيدًا.. بعيدًا عن أهله.. لم يزر مصر مرة واحدة.. »

(طارق) في سعادة:

- « عظيم أن يظهر لك فجأة قريب يعيش في أمريكا.. »

وضعت الأم يدها فوق يده.. تقول بلهجة استشهاد، تُجيدها كل النساء الكبيرة في السن:

- « أريد رؤيته قبل أن أموت.. عدني أن تحاول الاتصال به.. »

نظر لها في تأثر..

- « حاضر يا أمي.. أعدك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

مطار القاهرة.. الساعة الواحدة ظهرًا..

هبطت طائرة خاصة قادمة من (إسطنبول)، قبل أن تنطلق تلك السيارة السوداء الفخمة لتقف بجوارها في هدوء.. في انتظار ركابها..

ران الصمت.. ثم ظهر على باب الطائرة رجل ضخم الجثة.. سرعان ما ارتدي نظارة سوداء أخفت معالم وجهه الصارم.

تقدم الرجل بخطوات واسعة نحو السيارة.. واختفي داخلها..

- « حمدًا للَّه على السلامة يا أبي.. »

لم تَلِن ملامح الرجل.. وهو يقول:

- « أين جثة أخيك؟ »

أجابته (أركان) بتأثر:

- « في المقر الرئيسي لمباحث أمن الدولة.. »

- « مَن الضابط المسئول عن القضية؟ »

تدخل (عزام) الذي كان يجلس بالمقعد الأمامي.. يقول وهو يعطيه ملفًّا صغيرًا:

- « العميد (شريف صادق).. »

أخذ الرجل منه الملف وطالعه سريعًا.. قبل أن يقول:

- « رجل نظيف.. »

قال (شوكت).. الذي كان يجلس بمقعد السائق:

- « نستطيع أن نتقدم بطلب رسمي لتَسلم الجثة، أعتقد أن السلطات المصرية ستقدر الموقف.. »

انفعل الرجل عليه قائلًا:

- « تقول هذا الآن.. وأين كُنت وكل هذا يحدث منذ البداية؟ »

ونظر لوجوههم.. يستطرد بمزيد من الانفعال:

- « أين كُنتم جميعًا؟ »

قالت (أركان) بغضب:

- « سننتقم لأخي الليلة! »

- « اخرسي.. أنت بالذات ستنتهي علاقتك بالقاهرة اليوم.. »

كانت (أركان) تعرف جيدًا متي تصمت أمام غضب أبيها..

- « فكل ما حدث أنت السبب المباشر فيه.. »

- « أنا؟ »

- « نعم.. لأنك نسيتِ أنك هنا للدراسة.. وإدارة بعض أعمال الشركة.. ما الذي أقحمكم في كل هذا؟ »

(أركان) بتأثر:

- « تعرف أن (مراد) شخصية عنيدة صعبة القيادة.. وقد صمم على الانضمام لتلك الجمعية.. »

- « وماذا فعلتِ لحمايته؟ »

صمتت.. وهو يلوح بيده يردف باستنكار:

- « راق لك الأمر.. وانضممتِ أيضًا للجمعية! »

(أركان).. وقد بدأت الدموع تتكون في عينيها:

- « كان لا بد من ذلك لحمايته؟ »

- « وهل استطعتِ ذلك؟ »

انسابت دموعها.. تُضيف:

- « سننتقم له.. »

أمسكها من ذراعيها.. وأخذ يُعنفها بقوة.. مردِدًا:

- « وبم سيفيد انتقامك؟ بم سيفيد؟ »

تشنجت (أركان) من البكاء.. ولم تجد سوي حضن أبيها لترتمي به.. وهو يستطرد بانفعال شديد نادرًا ما يصيبه:

- « صار أخوك جثة في مشرحة.. لا نستطيع دفنه.. »

ران الصمت.. الذي لم يعكره سوي صوت بكاء (أركان) ونحيبها.. قائلة:

- « أنا أيضًا كنت أحب (مراد).. هو الذي لم يُنصت لي.. »

في تلك اللحظة.. تقدمت سيارة أخري لتقف بجوار سيارتهم.. قبل أن يهبط منها شخص وقور.. ذو لحية قصيرة يتمتم:

- « أهلًا بك في (مصر) (عصمت) بك.. »

هبط الأخير يصافحه بجمود:

- « مرحبًا (طاهر).. »

ابتعد به عن السيارة عدة خطوات.. ثم قال:

- « لقد بَلغ الجماعة ما حدث لابنك.. وأنا قد كلفت فريقًا على أعلى مستوي من شبابنا لتحري الأمر، بعيدًا عن سلطات الأمن.. لأننا لا نثق بهم.. »

(عصمت) بإرهاق:

- « لا يهمني كل تلك التفاصيل.. أريد فقط الحصول على جثة ابني.. »

وضع (طاهر) يده على كتفه.. قائلًا بحزم:

- «اعتبر أن الأمر حدث.. لكن ذلك قد يتطلب بعض الوقت.. فأنت تعرف ما تواجهه جماعة (الإخوان المسلمين) ([17]) هذه الأيام.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدأ الأمر.. عندما شعرت (أركان) أن سلوك أخيها (مراد) قد تغير فجأة..

فقد شهيته المعتادة.. بدأ يقرأ كتبًا غريبة.. أهمل دراسته في الجامعة الأمريكية.. حتى صديقته لم يعد يراها!

هذا دفع (أركان) للتقرب منه لمعرفة ما يحدث؟

لكنها لأول مرة تفشل معه.. استفزها الأمر كثيرًا.. وقررت مراقبته، حتى وجدته يدخل تلك الفيلا في أكتوبر..

عندما عاد في الصباح.. واجهته بالأمر.. شعر بالخوف وحكي لها كل شيء..

حاولت تعديل أفكاره.. لم تستطع..

هنا لم يعد أمامها سوي تمثيل الشغف بالأمر، حتى تُقنعه برغبتها في الانضمام لتلك الجمعية الخيرية، التي ينحصر هدفها في نشر السلام بالعالم.

أخبرها أن ذلك مستحيل بسبب أن الجمعية لا تقبل بوجود إخوة داخلها، ذلك ضد القواعد..

لكن بعد أسبوع وجدته يقول لها بحماس.. لقد طلبوا منا أن يقوم كل فرد بترشيح عنصر يجده مناسبًا.. فقمت بترشيحك.

دلفت (أركان) للجمعية.. ومرت بكل مراحلها بنجاح سريع، ساعدها على ذلك جمالها الذي كان يفتح الأبواب المغلقة..

كل هذا طبعًا.. دون أن يعلم أحد أنهم إخوة.. حتى اتضح الهدف!

حينها شعرت.. هي و (مراد) بخطورة كل ما يحيط بهما.. فهؤلاء القوم لن يسمحوا لأحد بأن يغادرهم يومًا، إنه طريق ليس منه عودة..

تناقشت مع (مراد) لدرجة العراك.. وكل منهما حمل فكرة للفرار..

هو قرر المواجهة بفضح أمرهم.. وهي قررت أن تُخبر أباها بكل التفاصيل، إنه أحد أهم رجال الأعمال في (تركيا).. وشريك تجاري لـ (مصر)، وحتمًا سيجد حلًّا.

لكن الوقت لم يسعفهما..

لفضحهم للأمن.. لكن أثناء ما كان يفعل.. انكشف أمره..

هرب.. وطاردته الأخوية التي نجحت في إصابته بطلق ناري.. فلجأ لمركز (أجزون).. وهناك سقطت منه تلك الفلاشة التي تحمل أسماء كل أعضاء ذلك المحفل الماسوني الجديد..

أصابتها الصدمة.. ونما بداخلها ذلك الشعور بالانتقام.. لكن (هيرمان) طلب منها مراقبة (طارق) لمعرفة كل ما حدث بينه وبين (مراد).. وهل ترك معه شيئًا قبل رحيله أم لا؟

ساعدها في ذلك (عزام) و (شوكت) رجال أبيها في (القاهرة).. حتى تطورت الأحداث.. وطلب (أدولف) بنفسه منها أمس إِحضار (طارق) و (شلبي) لحفل الأخوية الشهري..

كان هذا لا يعني سوي أمر واحد فقط.. وهو أن (طارق) و (شلبي) لن يغادرا الفيلا أحياءً، رغم ذلك قررت خوض التحدي للنهاية..

فالليلة سيتواجد الجميع في مكان واحد.. وهذا هو كل ما تريده!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انهمك مدير أحد أفرع المخابرات العامة المصرية في مطالعة ذلك التقرير العاجل، حتى دلف عليه أحد ضباطه يردد مباشرة:

- « لقد رصدنا هذا منذ قليل؟ »

تطلع المدير للورقة.. ثم قال بحزم:

- « لن نعمل في الداخل.. »

- « مفهوم سيادتك.. لكن هذا العنوان - تحديدًا - تردد اسمه في التقارير مؤخرًا أكثر من مرة! »

حصل الضابط على اهتمام المدير:

- « أي عنوان؟ »

- « مركز طبي حديث في المعادي.. »

عاد المدير يطالع التقرير.. متمتمًا كأنه يتحدث مع نفسه:

- « لدينا ما يكفينا من قضايا.. وهذا قد يكون شابًّا مراهقًا يعبث.. »

ظل الضابط صامتًا.. حتى عاد المدير يقول:

- « حسنًا.. قم بإرسال عنصر استطلاع، لكن بشكل غير رسمي.. أيضًا قم بتسريب هذا التقرير لأمن الدولة.. »

- « تمام سيادتك.. هناك أمر آخر أود أخذ الموافقة عليه.. »

أومأ المدير برأسه.. فأسرع الضابط يردف:

- « العميد (شريف صادق) يطلب بعض المعلومات.. »

ثم قدم له تقريرًا آخر.. ابتسم المدير حين ذكر اسمه:

- « أي نوع من المعلومات؟ »

- « بيانات عادية حول المسافرين الأتراك آخر ستة أشهر.. »

المدير بحسم وهو يُعطيه تأشيرة على التقرير:

- « أعطه ما يريد فورًا.. وكل ما يحتاجه مستقبلًا دون الرجوع إلي ... »

- « تمام سيادتك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غربت شمس ذلك اليوم.. وعاد (طارق) من البلدة، كي يلحق بحفلة (أركان) التي وعدها بحضورها.

كان من الممكن أن يعتذر.. لكن شيئًا ما - كالعادة - دفعه للعودة.. إنها غريزة التورط في المصائب..

استقبله (شلبي) يردد:

- « لقد قرأت رسالتك.. »

ارتمي (طارق) فوق كنبة وثيرة.. يتمتم:

- « مرهق جدًّا.. »

جلس (شلبي) بجواره يقول بجدية:

- « تحتاج إذن لشيء يُعيد لك نشاطك؟ »

ابتسم (طارق).. قائلًا دون أن يفتح عينيه:

- « اللَّه الغني عن منشطاتك.. فنجان قهوة سادة يكفي.. »

وأخذ ينادي على (عثمان) كي يصنع له فنجانًا.. تدخل (شلبي) يقول:

- « لا تتعب نفسك.. ليس هنا.. »

(طارق) بدهشة:

- « أين ذهب؟ هذا الرجل لا يعرف أحدًا هنا! »

همس (شلبي).. قائلًا:

- « شاهدته صباحًا يخرج مع تلك المرأة التي تسكن في الفيلا المقابلة، ولم يعد حتى الآن.. وكان متأنقًا جدًّا! »

(طارق) بمزيد من الدهشة:

- « (عثمان)؟!! »

اكتفي (شلبي) بإيماءة كوميدية من رأسه.. قبل أن يستطرد (طارق) ضاحكًا:

- « هذا الرجل سيجلب لنا العار.. »

ثم أخذ ينادي على (عبد السلام)..

- « هو أيضًا ليس هنا.. »

(طارق) في بلاهة:

- « لا تقل إنه ذهب معه.. »

- « لا.. هو أيضًا خرج في الصباح ولم يعد.. »

هز (طارق) رأسه.. مردِّدًا في توعد:

- « طبعًا.. لم يعد لهما رابط.. »

هنا.. سمع نفير عربة (أركان) يأتي من الخارج.. انتفض يردف:

- « هل أتت العاشرة؟ »

نهض (شلبي) ينظر للساعة:

- « العاشرة إلا ربع.. »

أشار لها (طارق) عبر الشرفة.. قائلًا لـ (شلبي):

- « انزل قابلها.. حتى أغير ملابسي.. »

- « لا تتأخر.. »

لم تمر سوي عشر دقائق.. حتى كان (طارق) يجلس بجوار (أركان).. و (شلبي) بالخلف..

- « تبدو مرهقًا.. »

نظر إليها (طارق).. قائلًا:

- « وأنت تبدين مختلفة.. »

أدارت موتور السيارة.. تردد ببساطة:

- « كيف؟ »

مط (طارق) شفتيه.. قائلًا بحيرة:

- « لا أدري.. بِك شيء مختلف.. »

ابتسمت.. قائلة:

- « إنه اللون الأسود.. الذي يجعلني دائمًا هكذا.. »

كانت فعلًا ترتدي فستانًا طويلًا أسود، عاري الكتف، أضفي عليها جوًّا من الغموض والرهبة..

تدخل (شلبي):

- « إنه اللون المُفضل للشخصيات القوية.. »

- « شكرًا يا دكتور.. »

عاد (طارق) يقول بعدم اقتناع:

- « ربما.. »

ومضت السيارة تنهب الطريق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان أول مرة يفعلها..

غاب (حامد) في النوم بغرفة الصيانة، لدرجة أنه لم يشعر بتلك الأيادي الثقيلة التي أخذت تدفعه، مُحاولة إيقاظه..

فتح عينيه أخيرًا.. ليجد الغرفة تعج برجال الأمن.. نهض يتأمل وجوههم في رعب متمتمًا:

- « فيه إيه؟ أنا لم أفعل شيئًا.. »

تقدم منه الرائد (مدحت) يقول:

- « المهندس (حامد) مدير صيانة المركز؟ »

- « نعم.. »

(مدحت) بهدوء مستفز:

- « هذا الجهاز منذ عدة ساعات تلقي اتصالًا بجهاز دولي.. لفك شفرة ملف ما.. غالبًا موجود على فلاشة أو وحدة تخزين خارجية.. »

وصمت لحظة ينظر لعينيه.. قبل أن يستطرد بصرامة:

- « هل لك علاقة بهذا الأمر يا باشمهندس؟ »

تجمد الموقف.. و (حامد) ينظر لهم في ذهول.. حتى طال الأمر أكثر من اللازم.. مما دفع (مدحت) لأن يُعيد السؤال بطريقة أشد قسوة:

- « هل لك علاقة؟ »

انتفض (حامد) يردد:

- « لا.. نعم.. »

ابتسم (مدحت).. يقول:

- « نعم أم لا؟ وَضح كلامك.. »

أخذ (حامد) نفسًا عميقًا.. ثم قال:

- « كُنت أحاول إصلاح تلك الفلاشة.. »

ابتسم (مدحت) بسخرية:

- « وهل هذا يجعلك تستخدم برامج سطو دولية؟ »

لم يملك (حامد) أي رد سوي:

- « لم أكن أعلم أن الأمر خطير لتلك الدرجة.. »

عقد (مدحت) أصابعه أمام وجهه.. يتأمل الغرفة قائلًا:

- « مفهوم.. هل تسمح لنا برؤية محتويات تلك الفلاشة؟ »

انتفض (حامد) يقول بحماس:

- « طبعًا.. »

وأسرع يفتح الجهاز.. مردِدًا:

- « أنا لم أفهم منها شيئًا أصلًا.. »

أضاءت الشاشة..

- « ها هي! »

تقدم (مدحت) يجلس أمام الجهاز.. وران الصمت على الغرفة لبضع دقائق، قبل أن يعقد الأخير حاجبية.. قائلًا بحزم:

- « من أين حصلت على تلك الفلاشة؟ »

عاد الرعب يرتسم على ملامح (حامد)..

- « هل بها شيء خطير؟ »

(مدحت) بعنف:

- « أنا الذي أسأل هنا.. »

(حامد) بارتباك:

- « سأخبرك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غرق (عبد السلام) في الرقص على سطح مركب نيلي، شارف على الوصول لشاطئ مبني (ماسبيرو).. قبل أن يعود ويجلس بجوار تلك الفتاة قائلًا:

- « كان يومًا جميلًا.. »

حملت نظرات (صفاء) الإعجاب وهي تقول:

- « لكنك تأخرت على العمل.. »

(عبد السلام) بتفاخر:

- « لا تقلقي.. الدكتور لا يستطيع الاستغناء عني.. فأنا تقريبًا مدير الأمن في المركز.. »

لكزته بيدها في كتفه.. تردد:

- « متي سنتزوج إذن؟ »

ارتبك (عبد السلام):

- « قريبًا.. لا تقلقي.. أنا أجهز أموري.. »

كَسَا القلق وجهها فجأة:

- « أشعر دائمًا أنك تتهرب مني.. »

(عبد السلام) في جزع من هول ما قالت:

- « أنا؟ »

وهز رأسه يتمتم في ضيق مُفتعل:

- « اللَّه يسامحك يا (صفاء).. بعد كل ما أفعله من أجلك تقولين هذا! »

يبدو أنه أجاد دوره.. مما جعلها تمسك يده.. وتردد بندم:

- « يقطعني.. والنبي ما تزعل يا سي (عبد السلام).. »

تشعر أنك رأيت هذا المشهد من قبل.. لكنك في نفس الوقت لا تمل رؤيته، إنه وغد آخر يحاول استغلال أنثي بريئة..

لكنها حتمًا لن تكون بريئة بعد اليوم.. وهذا هو دور الأوغاد في حياتنا، تعليمنا النضج..

لانت ملامح (عبد السلام) سريعًا.. مرددًا:

- « من أجل كلمة سي (عبد السلام).. سامحتك.. »

تلون وجهها بحمرة الخجل.. وغرق الاثنان في مستنقع المشاعر لدرجة أنهما لم يشعرا أن المركب قد توقفت.. وأن كل الركاب غادروا..

فجأة شعر (عبد السلام) بالتوجس.. ربما هي غريزة الشعور بالخطر التي تربي عليها..

تلفت حوله.. فوجد المخبرين يحيطون به.. ترك يد (صفاء) بسرعه يتمتم:

- « إنها خطيبتي.. وسنتزوج الأسبوع المقبل.. »

(صفاء) بسعادة لا تتناسب مع الموقف:

- « حقيقي يا سي (عبد السلام)؟ »

لكزها يتمتم بهمس:

- « ليس وقته.. »

تقدم منه مخبر يعرفه جيدًا.. يقول بشدة:

- « تفضل معي.. »

فجأة قررت (صفاء) الدفاع عن زوجها المستقبلي.. فوقفت حائلًا بينهم وبينه تقول:

- « إنه لم يفعل شيئًا.. سي (عبد السلام) مواطن شريف.. يعمل مدير أمن في مركز صحي.. »

المخبر:

- « هو أخبرك بهذا؟ »

ونظر لـ (عبد السلام) يردف باستفزاز:

- « إنه مُسجل بلطجة.. ومطلوب الآن في أمن الدولة.. »

اتسعت عينا (صفاء).. والمخبر يأمر بالقبض عليه.. أخذ (عبد السلام) يصيح:

- « مظلوم.. مظلوم يا (صفاء).. لا تصدقيهم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « اسم الضحية الثالثة (مراد عصمت)، طالب في الجامعة الأمريكية.. إدارة أعمال، الأب من أكبر الشركاء الاقتصاديين لنا.. و (أركان) الأخت الوحيدة الكبيرة.. »

أشعل العميد (شريف) سيجارة أخري.. قائلًا بتركيز:

- « أخبرتك أنني لا أستريح لتصرفاتها.. »

(مدحت):

- « كان معك حق يا فندم في الأمر بمراقبتها.. »

- « أين هي الآن؟ »

تنهد (مدحت) يقول:

- « للأسف أفلتت من المراقبة الليلة.. وبرفقتها الدكتور (طارق) وزميله (شلبي).. »

(العميد) بضيق:

- « هذا مُثير للقلق.. لأنها لم تفعل ذلك من قبل! »

(مدحت) بتركيز:

- « بالضبط.. لقد ذكر المراقبون أنها تعمدت الهرب منهم.. إنها ترتب لشيء! »

ضاقت عينا العميد يفكر:

- « غالبًا تريد الانتقام ممن قتل أخاها.. »

قال (مدحت).. وهو يقدم له ملفًّا صغيرًا باهتمام:

- « هذا ينقلنا لسؤال منطقي.. من هؤلاء الذين تريد الانتقام منهم؟ أمام سيادتك قائمة كاملة بكل البيانات والأسماء التي تم إخراجها من ملف كان يوجد في فلاشة برفقة (مراد) قبل موته.. لقد اعترف (عبد السلام) فرد الأمن الذي يعمل في مركز (أجزون) أنه وجدها.. مكان سقوط (مراد) على سلالم المركز الخارجية قبل وفاته، طَمع في الفلاشة.. ولم يُخبر أحدًا.. حتى قرر استخدامها.. فأعطاها للمهندس (حامد).. »

ابتسم العميد (شريف) ابتسامة سريعة.. قائلًا:

- « هذا ما سربته لنا المخابرات؟ »

(مدحت):

- « نعم.. إنهم يحبون دائمًا الطرق غير المباشرة.. »

تطلع العميد للملف.. مرددًا:

- « تلك القائمة هي ما كانت يسعون خلفها إذن؟ »

- « نعم يا فندم.. »

العميد بحيرة:

- « لكن ماذا تعني تلك الأسماء والبيانات؟ ماذا يفعل هؤلاء في قائمة واحدة؟ »

- « لم نعرف بعد.. لكن هناك بوادر معلومات بدأت تظهر.. »

واقترب (مدحت) يشير لأسماء معينة.. قائلًا بقلق:

- « إنهم أبناء رجال أعمال وسفراء وقضاة.. صفوة المجتمع.. »

العميد بعد لحظة تفكير:

- « استصدر أمرًا بمراقبة كل هواتفهم المحمولة فورًا.. أريد أن أعرف أين يتواجد هؤلاء الشباب في تلك اللحظة.. »

تنهد (مدحت).. قائلًا بحسم:

- « للأسف يا فندم.. كل هواتفهم مغلقة.. وهذا يعني أنهم موجدون الآن في مكان واحد.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان ذلك المتسول (عزيز) من نوعية الناس التي ليس لها آراء في الحياة.. فمن كثرة ما لاقاه في رحلة عمره، سـقطت حلقته مبكـرًا.. وتحول لذلك الشخص البائس، الذي لا يهتم سوي بغرائزه.. كي يبقي حيًّا.. هذا هو النجاح بالنسبة له..

لم يكن يملك حقدًا أو غضبًا تجاه أحد.. فمن هو كي يكون له رأي، ذلك نوع من الترف يمارسه الآخرون فقط.. بعدما سحقته الحياة.. وصار ذلك الكائن الذي لا يشغله سوي سد جوعه..

كان يجلس في بيته الدائم على الرصيف، يتلقي ما قد يرميه له السادة من بقايا طعام يوميًّا..

وعندما كان يتأخر الأمر.. ويقرصه الجوع.. كان يطارد أي فتاة تركب سيارة حديثة في إلحاح..

لقد تعلم أنهن صيد سهل.. فغالبيتهن كنَّ على استعداد لتقديم أي شيء كي يتخلصوا منه سريعًا.. ومن رائحته..

- « كيف حالك يا (عزيز)؟ »

ابتسم الأخير.. وتقدم من سيارة دفع رباعي تعج بالشباب.. قائلًا بعدم اتزان:

- « أريد سيجارة.. »

ضحك الشباب.. وأحدهم يقدم له واحدة قائلًا:

- « تفضل.. »

سحب البائس (عزيز) الدخان.. قبل أن يسعل بشدة.. وتحمر عيناه.. فألقي بها بعيدًا.. عاد الشباب للضحك.. وأحدهم يقول بسخرية:

- « لماذا غيرت له النوع؟ »

تراجع الضحك.. وسائق السيارة يسأل (عزيز):

- « هل تريد طعامًا.. »

الأخير بلهفة:

- « نعم.. »

الشاب:

- « للأسف ليس معنا طعام الآن.. لكن لو أتيت معنا.. سأقدم لك طعامًا كثيرًا.. »

أومأ (عزيز) برأسه في لهفة.. فقال الشاب:

- « اركب في حقيبة السيارة الخلفية.. »

استمر (عزيز) يحرك رأسه في سعادة، حتى حشر نفسه في شنطة العربة.. التي عادت تنطلق بسرعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ممر طويل مظلم سارت فيه عربة (أركان)، قبل أن تتوقف أمام تلك البوابة الأمنية قائلة:

- « ضيوف.. »

لم يتحدث فرد الأمن.. ومد يده.. قالت (أركان):

- « يجب أن نُسلم الهواتف.. »

(طارق) بضيق:

- « لماذا؟!.. »

همست له (أركان) في أذنه بلهجة غير مفهومة:

- « لا يُحبون التصوير.. »

أعطاه (طارق) الهاتف بعدم اقتناع.. وكذلك (أركان) ثم (شلبي).. لكن الأخير ظل مُحتفظًا بهاتف آخر صغير لا يوجد به كاميرا..

مرت السيارة لتقف في ساحة أكبر من اللازم.. اصطفت بها العديد من السيارات الفاخرة.. اتسعت عينا (شلبي) يردد بإعجاب:

- « إنه معرض سيارات عالمي.. »

تقدمتهما (أركان) كالملكة إلي باب القصر.. الذي فُتح بمجرد أن أصبحت على بعد خطوات منه!

وقف الثلاثة يتأملون الوجوه الذهبية الموحدة للحضور.. قبل أن يميل (شلبي) على (أركان) يردد بانبهار:

- « إنها حفلة تنكرية.. »

(أركان).. وقد تغيرت لهجتها تمامًا للجدية:

- « هذا الأقنعة لأعضاء الأخوية فقط.. »

ووضعت على وجهها قناعًا ذهبيًّا باردًا لتصبح مثلهم.. وهي تستطرد:

- « أما الضيوف.. فلا يرتدون شيئًا.. »

شعر (طارق) بالتوجس.. والقشعريرة تسري في جسده.. إنه يعرف جيدًا ذلك الإحساس، هناك مصيبة ما قادمة..

- « ما معني كلمة أخوية؟ »

سارت بهما لأحد الجوانب.. تقول بسخرية:

- « الأخوية.. جمعية خيرية لمساعدة البشر على إيجاد أنفسهم.. والتخلص من الضياع.. »

(طارق).. وهو يتأمل كل التفاصيل بتركيز شديد:

- « عبارة فخمة.. قد يستتر وراءها أي هدف خبيث.. »

ثمة إعجاب أصاب (أركان) تجاهه.. و (شلبي) يُضيف بلهجة المحلل النفسي المعتادة:

- « إذن نحن نقف وسط جمعية خيرية أخري.. تقوم بتغيير سلوك كل من ينضم لها.. ليصير أكثر صمتًا.. وطاعة.. »

وضحك يستطرد بسخرية:

- « حتمًا تمارسون طقوسًا ما؟! »

أجابته (أركان) بمزيد من الإعجاب:

- « لا تتعجل الأمور.. ستري الآن بعينيك.. فأنا قد قضيت وقتًا طويلًا هنا قبل الحصول على إجابات! »

عاد (شلبي) يمط شفتيه.. قائلًا بإثارة:

- « نريد حتى معرفة بعض القواعد.. »

(أركان) ببساطة.. وهي تتأمل وجهًا فضيًّا ظهر في الجانب الآخر للقاعة:

- « هنا الجميع سواء.. ولا نقول سوي أخ أو أخت.. »

(شلبي) بإعجاب:

- « واو.. هل أستطيع الانضمام للجمعية؟ »

أصاب (أركان) الشرود.. قبل أن تقول:

- « اطمئن.. سأكون وسيطتك في الانضمام.. »

ثم أومأت برأسها.. تردف:

- « سأغيب عنكما دقائق.. بعد إذنكما.. »

وابتعدت تتجه نحو صاحب الوجه الفضي.. تابعها (طارق) حتى اختفت.. ثم قال بتوجس شديد:

- « ما رأيك؟ »

مط (شلبي) شفتيه يقول:

- « مكان مختلف.. ومثير.. »

سحبه (طارق) من يده ليقف في ركن شبه مظلم.. قائلًا بحدة »

- « أنا أجده مكانًا مخيفًا.. لا يدعو للارتياح.. أريد أن أنصرف.. »

(شلبي) بسخرية:

- « لماذا؟ انظر إنهم يرقصون.. الأمر لا يوحي بأي نشاط إجرامي.. »

(طارق) بمزيد من الحدة:

- « بل يوحي بما هو أخطر! »

- « ما هو؟ »

- « الاستثناء.. هكذا تكون بداية أي تطرف أو خبال.. هكذا وُلدت النازية والصهيونية يومًا.. »

- « أنت تُجيد دائمًا الاستنتاجات الخاطئة.. »

(طارق) بعصبية:

- « أنا؟ »

- « نعم.. ليس هذا فقط.. بل أنت رائد في استخلاص النتائج السيئة من معطيات عادية.. والدليل ما نحن فيه الآن، الحفلة.. لمجرد أنها تحمل شكلًا ظاهريًّا غير مألوف، تتهمهم بممارسة الشذوذ الفكري.. »

(طارق):

- « أنت لا تستحق معاناة الرد عليك.. بعد إذنك.. »

استوقفه (شلبي) ببعض اللين:

- « انتظر.. »

كاد (طارق) أن يقول عبارة ما.. لكنه فجأة أحاط به و (شلبي) أربعة وجوه ذهبية ضخمة تقول:

- « تفضلوا معنا.. »

كانت لهجتهم باردة..

- « إلي أين؟ »

- « السيدة (أركان) تريد رؤيتكم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شعر (طارق) أن كل خطوة يصعدها فوق تلك الدرجات.. تورطه أكثر في الأمر، دلف لذلك المكتب.. فوجد أربعة وجوه في انتظاره..

(أدولف).. (هيرمان).. (أركان).. وأخيرًا آلة القتل (إستاسيوس)..

بالإضافة إلي مقعدين.. تم وضعهما في منتصف الغرفة بتعمد، شعر أنها مقاعد اعتراف.. وأنه بعد قليل.. سيظهر الهدف الحقيقي لكل هذا..

- « تفضل دكتور (طارق).. تفضل دكتور (شلبي).. »

قالها (أدولف) بالعربية.. لكن لهجته بدت غربية.. نظر (طارق) لـ (أركان).. فبدت عديمة الحس.. إنه لا يصدق عينيه.. هل مَنْ تقف أمامه الآن.. هي نفس الفتاة التي كانت تمتلئ بالنشاط والإقبال على الحياة منذ ساعة مضت؟!

جلس (شلبي) و (طارق) على المقعدين.. وفجأة تم تقييدهما فيهما، بواسطة الثيران البشرية الأربعة الذين كانوا برفقتهما..

ران الصمت للحظات.. قبل أن يقول (شلبي) بسخرية:

- « ما هذا؟ »

تقدم منهم (هيرمان) يقول ببرود:

- « تستطيع أن تعتبرها طريقتنا في استقبال الضيوف.. »

ضاقت عينا (طارق) وهو ينظر لـ (أركان) في غضب:

- « هل لديكِ تبرير لهذا؟ »

أشاحت بوجهها.. و (أدولف) يقول:

- « لن نضيع الوقت دكتور (طارق).. وسنتحدث مباشرة.. »

- « أرجوك.. »

اقترب (أدولف) يسأله:

- « ماذا أعطاك (مراد) قبل وفاته؟ »

- « مَنْ (مراد)؟ »

- « الشاب الذي كنت تحاول إنقاذه منذ عدة أيام.. »

ران الصمت للحظات.. ونمت ابتسامة ساخرة على وجه (طارق).. قبل أن يتمتم:

- « آه.. أنتم المخابيل الذين قتلوه إذن؟ »

(أدولف) بلهفة:

- « هل أخبرك بهذا؟ »

ضحك (طارق).. وهو ينظر لـ (شلبي) قائلًا بسخرية:

- « ما رأيك في نظرية الاستنتاجات الخاطئة؟ »

ابتسم (شلبي) بطريقة تدفع للضحك.. و (أدولف) يضيف:

- « ماذا ترك معك؟ أخبرني.. وأعدك أن تموت بسرعة! »

كانت مشكلة (طارق) الأزلية.. والتي نَمت بداخله منذ الصغر، كنوع من الدفاع عن النفس، نتيجة حساسيته الشديدة تجاه الحياة.. أنه لم يعد يهاب تلك المواقف.. بل على العكس.. كان كلما تعرض لشيء يفوق قدرته على التحمل، تجده يتحول لذلك الشخص الهستيري الساخر.. المصاب بالبهجة الزائفة.. وينطلق عقله يعمل بشكل لا يفعله في الظروف العادية..

ضحك بهستيريا قائلًا:

- « هذا كرم كبير منك.. »

لم يتوقع (أدولف) ذلك رد الفعل.. لكنه كان من النوعية التي تُجيد التعامل مع أي مفاجأة..

ابتسم متمتمًا بطريقة شيطانية:

- « لا تقلق.. لدي دائمًا ما يناسب الجميع! »

أشار (هيرمان) نحو شاشة كبيرة.. قائلًا:

- « ستبدأ الطقوس.. »

سمع (طارق) الكلمة.. وكذلك (شلبي) الذي اعتدل وأخذ ينظر للشاشة في بلاهة.. و (أدولف) يُضيف بعمق شديد:

- « صمتًا.. لقد حضر السيد! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منتصف الليل..

أخذ ذلك الكاهن - هذا لو جاز طبعًا أن نطلق عليه كاهنًا أصلًا - يردد بعض أشعار كتاب (الجوليارد) على مسامع الحضور:

- « إيه أيها المصير؟ المزهو اللامقهور؟ »

- « أيها الدولاب الذي يدور.. »

- « سَليقتك فاسدة.. وسعادتك باطلة.. »

- « فهي في تلاشٍ.. مستديم.. »

- « تـفِـدُ الآن إلي.. وفي الظلام تستتر.. محتجبًا.. »

- « وكيما أُرضي عبَثَ خُبثِـك.. »

- « أعري إزاءك كاهلي.. »

- « (هيركا) ([18]).. (هيركا).. (نازازا).. (تريليريفوس).. »

وأخذ يكرر تلك الكلمات الأخيرة عدة مرات.. وهم يجرون المتسول (عزيز) نحو المنصة..

كان لا يعي ما يحدث.. وكل ما شغل تفكيره بعد أن ملأ بطنه بالطعام الفاخر.. هو العودة للرصيف.. هناك فقط يشعر بالأمان..

لم يعرف ذلك البائس أن ما حظي به كانت وجبته الأخيرة.. وأن حياته ستنتهي بعد لحظات..

تقدم اثنان وكبلا يديه.. قبل أن يتقدم ثالث ويجز رأسه بضربة واحدة..

تناثرت الدماء في كل مكان.. والكاهن يتمتم:

- « قربانك أيها السيد.. قربانك أيها السيد.. »

وظل يرددها في هستيريا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اتسعت عينا (شلبي) يردد في ذهول:

- « هل ما حدث حقيقي؟ أم فيلم تصورونه؟ »

أجابه (أدولف) ببرود:

- «إنه دم (أممي) ([19]).. نقدمه للسيد.. »

نقل (شلبي) عينيه بين الجميع في بلاهة.. قبل أن يسأل السؤال المنطقي:

- « ومن هو السيد؟ »

ران على الغرفة الصمت.. و (أدولف) يردد باحترام:

- « سيد الجحيم.. المخلص.. ومن سيمنح العفو.. »

(شلبي) بمزيد من البلاهة:

- « ما زلت لا أفهم شيئًا.. »

قاوم (طارق) رغبته في الغثيان.. قائلًا:

- « ألم تدرك بعد ما يحدث يا مغفل؟ إنهم يعبدون الشيطان.. »

ثم أخذ يضحك بنفس الهستيريا الساخرة..

مسكه (أدولف) من شعر رأسه يتمتم بغضب:

- « تأدب.. فأنت في حضرته الآن.. »

(طارق) بعناد:

- « فلتذهب معه إلي الجحيم.. »

ابتعد عنه (أدولف) يقول بمزيد من الغضب:

- « (إستاسيوس).. »

تحرك الأخير نحوهما يُخرج محققًا من جيبه.. قبل أن تتراجع (أركان) خطوة للخلف.. وتُشهر في وجوههم مسدسًا صغيرًا:

- « اتركهما.. »

تجمد الموقف.. و (هيرمان) يردد:

- « لم أثق بك يومًا.. »

قال (أدولف) ببرود:

- « هل سقطتِ في حبه؟ فتيات (بُوبِرن) لا يعشقون.. »

وأخذ يتقدم نحوها ببطء.. تراجعت (أركان) أكثر للخلف تردد في تصعيد:

- « لا تتحرك.. »

لم ينصع (أدولف).. وتقدم أكثر..

أطلقت عليه الرصاص.. وكان هذا بالنسبة (طارق) غير مفهوم.. فهذا يقول بوضوح أنها ليست معهم.. لماذا ساقتهما إذن كالحمير إليهم؟

فيما بعد.. ستقسم (أركان) أن الرصاصة أصابت قلب (أدولف) تمامًا.. والذي أخذ يضحك بجنون دون تأثر..

ألقت (أركان) المسدس.. وانطلقت تهرب.. حاول (هيرمان) ملاحقتها.. لكن (أدولف) استوقفه قائلًا:

- « دعها.. لن تذهب بعيدًا.. »

ثم عاد لـ (طارق) يستطرد:

- « لا بد أن نهتم بضيوفنا أولًا.. »

وأشار لـ (إستاسيوس) أن يُكمل عمله..

فرغ آلة القتل ذلك المحقن من الهواء.. وحقن به (طارق) في وريده العنقي، سأله (شلبي) بفضول لا يناسب الموقف:

- « ما هذا؟ »

أجابه (أدولف) بتلذذ:

- « ستعرف الآن.. »

غاب الاثنان عن الوعي.. وحملهما (إستاسيوس) كالأطفال ليضعهما بغرفة جانبية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية بعد منتصف الليل..

دلف أحد الضباط على الرائد (مدحت) يقول بإرهاق:

- « لم يعد أحد منهم إلي المنزل حتى الآن.. أيضًا الهواتف ما زالت مغلقة.. »

زفر (مدحت) في عصبية.. فأضاف الضابط بتوعد:

- « اطمئن.. لن يذهبوا بعيدًا.. »

(مدحت) بتمنٍّ:

- « كانت فرصة جيدة لرصدهم.. »

ضاقت عينا الضابط الشاب يقول:

- « هناك شيء فكرت فيه.. وأتي ببعض النتائج.. »

- « ما هو؟ »

جلس الضابط..

- « هؤلاء الشباب يحبون السيارات المميزة التي تليق بوضعهم الاجتماعي، بعد التحري.. تبين أن ثلاثة منهم تحديدًا يمتلكون سيارات عددها محدود في مصر.. »

ضاقت عينا (مدحت) بسعادة:

- « لا تقل إنك تعرف أماكن تلك السيارات الآن.. »

- « ليس بالضبط.. لكنها جميعًا تم مشاهدتها آخر مرة تتجه لمدينة (٦ أكتوبر).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يعد (طارق) يملك القدرة على السيطرة على أطرافه أو حتى تركيزه.. هو يعي ما يحدث، لكنه لا يستطيع إبداء أي رد فعل..

أما (شلبي).. فكان أحسن حالًا منه بكثير.. لأنه كما يعرف بعضكم، يُجرب دائمًا تلك العقاقير المخدرة التي يستخدمها مع مرضاه، على نفسه أولًا.. فصار جسده لا يتأثر بسهولة بتلك الجرعات..

رغم ذلك لم تبدُ عليه علامات الوعي، ظل خاملًا غير متزن.. حتى شعر أن الغرفة التي يوجد بها خالية..

عندئذ فتح عينيه، لم يكن هناك قيود، اعتمد هؤلاء الأوغاد على تأثير العقار..

أخذ يفحص (طارق) في انتشاء.. وهو يردد:

- « مرحبًا بك في عالم المخدرات يا صديقي.. »

حاول (طارق) أن يقول شيئًا.. لم يستطع.. فأضاف (شلبي) ببهجة زائفة:

- « أعرف ما تشعر به.. »

وأخذ يبحث عن شيء في جيبه الخلفي يستطرد:

- « من حظك أنني دائمًا أحمل هذا الأمبول.. »

كان ما يقصده هو أمبول الـ (Naloxone) [20].. والذي يعمل كمثبط لغالبية أنواع المخدرات، خاصة (المورفين).. وتلك المُشتقة من ثمرة (الخشخاش)

التي يُستخلص منها الحشيش وكل أقاربه..

كان (شلبي) يحتفظ به دائمًا لإنقاذ حياته.. بعدما تعرض يومًا لجرعة زائدة، كادت أن تُوقف جهازه التنفسي..

كانت مشكلته هي السرنجة.. نهض مترنحًا يبحث عن واحدة.. وعندما لم يجد، عاد يجلس بجواره يضحك قائلًا:

- « أنت سيئ الحظ يا صديقي.. »

في تلك اللحظة.. دلفت إليهما (أركان) ترتدي ملابس أخري، انحنت تفحص (طارق) بقلق.. و (شلبي) يُضيف بنفس لهجته:

- « لا تقلقي يا جميلتي.. سيفيق بعد يومين.. »

وأخذ يضحك.. تأملت الأمبول الذي بيده متسائلة:

- « ما هذا؟ »

شرح لها تأثيره بطريقة بطيئة مضحكة.. فغابت داخل حمام الغرفة لثوانٍ، قبل أن تعود حاملة علبة صغيرة تردد:

- « السرنجة.. »

أصاب (شلبي) - المنتشي بشدة - الانبهار:

- « عظيم.. من أين حصلت عليها؟ »

(أركان) بحدة.. وهي تصفعه بالقلم:

- « بسرعة.. »

لم يبدُ على (شلبي) أنه شعر بشيء.. وكاد أن يُسقط الأمبول من يده، مما دفعها لأن تقوم هي بإعداده:

- « ماذا أفعل بعد ذلك؟ »

أشار لوريده العنقي.. فأخذت نفسًا عميقًا وبدأت تحقن الأمبول..

وبعدما انتهت عادت تسحب جزءًا متبقيًا من الأمبول في سرنجة جديدة، ثم ركزت فوق (شلبي) تُضيف:

- « أنت أيضًا تحتاج بعضًا منه.. »

حصل (طارق) على غالبية الأمبول.. و (شلبي) على الربع تقريبًا.. لكنه كان كافيًا لعودة جزء كبير من وعيهم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شعر (طارق) بتحسن كبير بعد أخذ الـ (Naloxone).. لكن ظل وعيه غير كامل، إنه سيعاني من حالة الـ (hang over) [21] والأرق لمدة يومين على الأقل..

لم يحاول فهم علاقة (أركان) بما يحدث.. أو حتى يسألها ماذا تفعل هنا.. هي نظرت إليه قائلة بتأثر:

- « (مراد) أخي.. »

نهض يسألها بترنح:

- « كيف سنخرج من هنا؟ »

(أركان) بيأس:

- « لا أعرف.. إنهم يبحثون عني في كل مكان.. وحتمًا بعد انصراف الجميع سيعثرون علي.. إنها مسألة وقت.. »

كانت الرؤية مشوشة أمام (طارق).. والصداع يكتنف رأسه بقوة..

- « ومتي سيغادرون؟ »

(أركان) وهي تحاول مساعدته كي لا يسقط:

- « في الصباح.. »

أبعد يدها.. ونظر من النافذة يتمتم:

- « ما زال أمامنا بعض الوقت.. »

عاد إلي الغرفة يحاول التفكير..

- « لن نستطيع الخروج من هنا بسهولة.. لا بد من طلب المساعدة.. »

قال (شلبي) وهو يرفع أمامهما ذلك الهاتف الخلوي الصغير:

- « لقد طلبت المساعدة من صديقي الوحيد.. »

ضاقت عينا (طارق).. وأسرع يأخذ منه الهاتف بلهفة.. قائلًا:

- « مَنْ؟ »

(شلبي):

- « المعلم (برعي).. »

فحص (طارق) ذاكرة الهاتف بسرعة.. فوجده فعلًا قد اتصل به..
أعاد (طارق) الاتصال:
- « ألو.. »
- « ألو.. يا دكتور.. نحن في الطريق.. »
- « أنا (طارق) يا معلم.. »
- « الحمد للَّه أنك بخير.. لقد أخبرني الدكتور (شلبي) أنك ... »
قاطعه (طارق):
- « أين أنت الآن يا معلم؟ »
- « كدنا نصل للمكان الذي وصفه لنا صديقك.. »
(طارق).. وقد بدأ يعود تركيزه:
- « أرجوك يا معلم بلغ الشرطة.. الموضوع أكبر منك.. ومن رجالك.. »
(برعي) بعصبية:
- « الكبير هو اللَّه.. وأنت لك جميل في رقبتي.. »
بدأ الصوت يتقطع.. فنظر (طارق) لشاشة الهاتف.. فوجده يكاد يفصل شحن..
عاد يقول بحدة:
- « يا معلم.. اسمع الكلام.. الوقت يمر.. والموبايل سيفصل شحن.. »
- « قلت لك لا تقلق يا دكتور.. أنت لم تجربني من قبل.. »
قطع (طارق) المكالمة.. وحاول الاتصال بالنجدة.. فتح خط الاتصال:
- « ألو.. »
لكن الوقت لم يسعفه للرد.. وانطفأ الجهاز..
ألقي به (طارق) على الأرض في عصبية.. يردد:
- « اللعنة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمر العميد (شريف) برصد أي شيء يخص مدينة السادس من أكتوبر، حتى لو بدا تافهًا خلال الساعات المقبلة..

دلف (مدحت) يقول:

- « هناك مَنْ حاول طلب النجدة وأغلق الخط.. »

ضاقت عينا العميد:

- « هل حاولتم معاودة الاتصال به؟ »

- « نعم.. صار الهاتف بعدها غير متاح.. »

نظر العميد للساعة فوجدها تقترب من الثالثة بعد منتصف الليل..

- « من الصعب أن يكون هناك أطفال مستيقظة تعبث في هذا الوقت.. »

عاد يسأل:

- « العنوان.. »

- « أطراف (٦ أكتوبر).. فيلا كبيرة.. لم نستطع تحديد مالكها بعد.. »

العميد بحزم:

- « قم بتحريك عربة دورية تستطلع الأمر.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

19 - النهاية..

كانت الغرفة التي يوجد بها (طارق) تقع في الدور الثاني.. وتطل على حديقة متشابكة مظلمة..

- « ليس أمامنا خيار سوي الهبوط.. »

(أركان) بقلق:

- « المسافة بعيدة.. أضف أن هناك كلابًا شرسة تملأ المكان.. »

- « هل لديك بديل؟ »

صمتت تفكر..

- « لا.. »

- « ابحث معي إذن عن شيء نستخدمه للهبوط.. »

لم يجد (طارق) سوي حبل ستارة رفيع طوله متران، استخدم نصف متر منه في ربط العقدة.. وبقي متر ونصف في الفراغ..

تأملته (أركان) بخوف:

- « ما زال بعيدًا عن الأرض.. »

(طارق) وهو يشرع في الهبوط:

- « سأتلقفك.. »

أخذت تتأمله وهو يتعلق بنهاية الحبل.. ثم يترك نفسه يسقط.. كتمت صرخة كادت تفلت.. وهي تتأمل (طارق) ينهض من على الأرض.. ويُشير لها بالهبوط.

تقدم (شلبي) يقول بأدب شديد:

- « إذا كنتِ لن تقفزي يا جميلتي.. فأنا أريد ... »

أفسحت له المجال.. حتى لحق بـ (طارق) أسفل الشرفة..

عاد الأخير يهمس لها:

- « هيا.. إنها فرصتك الأخيرة.. »

ظلت (أركان) مترددة.. حتى شعرت أن هناك أحدًا بالخارج.. هنا حسمت أمرها وقفزت تتعلق بالحبل دون تردد..

- « اتركي الحبل.. »

- « لا أستطيع.. »

- « لا تخافي.. سنتلقفك.. »

ظلت ترفض.. حتى أطل عليها (إستاسيوس) من الشرفة.. فصرخت.. وتركته..

تلقفها (طارق) و (شلبي).. قبل أن يسقطوا جميعًا على الأرض.. وهم يتأملون آلة القتل.. تتراجع كي تلحق بهم.

نهض (شلبي) يتمتم بسخرية:

- « لماذا لم يقفز خلفنا ذلك الثور؟ »

(طارق) بحيرة.. وهو لا يعرف أي اتجاه سيتخذ:

- « لن يتحمله الحبل.. »

ثم نظر لـ (أركان) يسألها:

- « أين طريق البوابة؟ »

أجابته بألم.. وهي تتحسس جنبها:

- « من هنا.. لكن احذر فهم يتوقعون هذا.. »

- « والعمل؟.. »

قالت بعد لحظة تفكير:

- « لدي فكرة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت عربة نصف نقل حقيرة على بعد أمتار من فيلا أكتوبر، صمت (برعي) لحظات يتأمل المنطقة بعيون خبيرة.. ثم قال:

- « هذه هي الفيلا يا رجالة.. »

قال (فرخة) وهو يتلفت في كل اتجاه دون داعٍ:

- « متأكد يا معلم؟ »

صفعه على مؤخرة عنقه كالعادة.. قائلًا:

- « انظر.. لا يوجد غيرها أصلًا في المنطقة يا غبي.. »

انتفض (فرخة).. يتحسس مكان الضربة.. متمتمًا بإحراج:

- « عندك حق يا معلم.. »

قال (بحر) الذي كان يقود العربة بتوجس:

- « لم نقتحم أماكن مثل هذه من قبل.. »

تدخل (عتمان) بحماس:

- « وما الفارق بينها وبين أي مكان آخر؟ »

عاد (بحر):

- « درجة الخطورة هنا أعلي.. »

(برعي) بتحدٍّ:

- « بعون الله منصورة.. هيا يا رجال.. الرجل له دين في رقبتنا.. ولا نعلم ما يحدث له بالداخل! »

هبط (عتمان) من الصندوق الخلفي.. ولحق به أكثر من عشرة رجال، ليلتفوا حول (برعي) الذي قال بزعامة:

- « سندخل على دفعات.. »

وأخذ يشرح لهم خطته البسيطة القائمة على الارتجال.. وأنهي حديثه مردفًا بحسم:

- « تمام يا رجالة؟ »

- « تمام يا معلم.. »

بعدها تقدم (برعي) بصحبة (بحر) و (فرخة).. استقبله فتي أمن البوابة ببرود قائلًا:

- « ما الذي تريدونه؟ »

(برعي) بطريقة متحضرة تدفع للضحك:

- « نريد مقابلة مستر (فيليب).. »

ضاقت عينا فرد الأمن.. وهو يتأملهم بحذر قائلًا:

- « لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم.. »

اتسعت عينا (برعي) بدهشة مُصطنعة.. مرددًا:

- « غريبة.. لقد أعطاني هذا العنوان.. »

- « ربما في الفيلا التي تسبقنا.. »

(برعي) بإصرار:

- « أليس رقم الفيلا هو (٣٦)؟ »

- « بلي.. لكن لا يوجد أحد هنا اسمه (فيليب).. »

أخذ (برعي) يتلفت يمينًا ويسارًا.. وتقدم (فرخة) ينظر للرقم المعدني.. فاعترضه الحارس..

وكان هذا ما يريده (برعي) بالضبط.. زاوية ميل.. ففي جزء من الثانية.. رفع (بحر) تلك القطعة المعدنية في الهواء، وسقط بها على رأس فرد الأمن.. الذي سقط تحت أقدامهم كالطوبة..

جره (فرخة) بسرعة ليخفيه خلف البوابة.. في اللحظة التي أشار فيها (برعي) لبقية رجاله..

تسلل الجميع للمكان بهدوء.. بينما ترمقهم عين عربة دورية الشرطة..

- « هل رأيت هذا؟ »

- « نعم.. »

- « بَلِّغ القيادة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف (هيرمان) في غرفة المراقبة ينقل عينيه بين ما يحدث في الحديقة.. والبوابة.. بعدما قام باستدعائه المدير المسئول..

انضم له (أدولف).. يردد بحقد وغل شديدين:

- « مَنْ هؤلاء الأمَم؟ »

(هيرمان):

- « لا أعرف.. لعلهم لصوص؟ »

نظر (أدولف) لـ (طارق) و (أركان) و (شلبي) عبر شاشة أخري يسأل بنفس اللهجة:

- « يبدو أن عقارك أصبح عديم التأثير؟ »

(هيرمان) بغضب:

- « لا.. هناك من ساعدهم.. »

(أدولف):

- « أطلق الكلاب.. »

وعاد ينظر لـ (أركان).. ويردف بحسم:

- « أما هؤلاء.. فأريدهم فوق المذبح.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقدم (برعي) عبر الممر الطويل المظلم للفيلا برفقة رجاله.. لكن فجأة أتي ذلك الصوت!

نباح كلاب مُتصاعد..

تحفز الجميع.. خاصة (فرخة).. وهو يستقبل أول كلب مردِدًا:

- « اللَّه أكبر.. »

لم يكن (فرخة) يحمل ذلك اللقب من فراغ.. فقد أَطار رأس الكلب بضربة واحدة من سنجته.. ثم لوح بها مردفًا باستمتاع:

- « ذبح شرعي.. »

بعدها انطلق يطارد بقية الكلاب الشرسة حتى سقطت جميعًا تحت أقدامهم.. وسط بركة صغيرة من الدماء..

تابع ذلك (أدولف) بإزعاج.. مردِدًا:

- « هذا ليس جيدًا.. »

ثم انطلق يغادر الغرفة.. في تلك اللحظة كان (طارق) برفقته قد وصلوا لموقف السيارات..

- « هل هذه هي فكرتك؟ »

قالها بسخرية.. و (أركان) تضيف:

- « ليس أمامنا سوي الاختباء في حقيبة أي سيارة من تلك حتى يأتي الصباح.. »

- « إنه أول مكان سيبحثون فيه! »

- « بالعكس.. هذا المكان من كثرة نمطيته لن يبحثوا فيه.. »

ضحك (شلبي) فجأة.. وهو يُشير لنقطة خلف (طارق) متمتمًا:

- « لدينا رِفقة.. »

لم يُكمل (طارق) استدارته.. ليعرف مَنْ يقف خلفه.. بعدما تلقي فجأة تلك الضربة فوق وجهه..

سقط يرتطم بواجهة سيارة.. وهو يشاهد (إستاسيوس) يرفع (أركان) ويلقي بها من ارتفاع مترين..

صرخت.. وهو يتقدم من (شلبي) الذي لم يبدِ أي مقاومة.. قائلًا بهستيريا:

- « ما يحدث هو نتيجة فشل الإنسان في الحوار.. »

لحق بـ (أركان).. بعدما حلق في نفس الارتفاع..

صارت الرؤية مشوشة أكثر في عين كل من (طارق) و (شلبي).. و (إستاسيوس) يجرهم كالنعاج.. ويعود بهم للفيلا..

لم تستطع (أركان) أن تفعل شيئًا.. واستسلمت لهؤلاء الرجال الذين جروها هي الأخري للداخل..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « انظر يا معلم.. إنه الدكتور (طارق).. »

قالها (عتمان) بحماس.. وهو يكاد يشرع في التدخل في صراعه مع (إستاسيوس).. لكن (برعي) استوقفه قائلًا بحدة:

- « انتظر.. إنهم يحملون مسدسات آلية.. »

(عتمان) بغضب:

- « هل سنتركه يا معلم؟ »

كانوا في تلك اللحظة.. يحملونهم.. ويعودون بهم للفيلا..

- « لا طبعًا.. »

وانتظر حتى خلت الساحة.. وأخذ يدور مع بقية رجاله حول المكان..

- « ها هم.. »

قالها أحد رجال الأمن الخمسة.. الذين ظهروا فجأة أمامهم.. وفتحوا النار، تفرق الجميع في كل اتجاه.. والرصاص يطاردهم في إلحاح..

انبطح (برعي) وهو يُخرج مسدسه.. ويرد بسخاء.. لكن الرجال كانوا أكثر منهم جرأة وغزارة في إطلاق الرصاص..

حتى تدخل عامل حاسم.. (عتمان)؟

ففي اللحظة التي كانوا يجرون فيها (طارق) نحو المذبح، كان المتحمس (عتمان) يلقي أول زجاجات البنزين..

شبت النيران في أحد الرجال.. فأخذ يصرخ، توقف اثنان منهم.. وبدءوا يحاولون إطفاءه.. لكن الزجاجات توالت عليهم حتى شبت النيران فيهم جميعًا..

كان (عتمان) يؤمن باستمرار، أن النار هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع غسل كل شيء..

إنها القادرة على روي ظمئه.. وإرضاء ذلك الشعور بالعدالة داخله..

وسط صرخات الرجال التي لم تتوقف، راح (عتمان) بحماس يجر جركن البنزين ويتقدم نحو شرفات الفيلا..

بعدما شعر بقوة خفية تسري في عروقه.. فربما تكون تلك من المرات القليلة التي يعمل فيها بالخير..

شاهدهم يضعون تلك الأقنعة المخيفة على وجوههم.. ويضعون رأس (طارق) فوق ذلك النصب.. كأنهم في عالم آخر.. أو لا ينصتون لما يحدث في الخارج..

لم ينتظر (عتمان) أن يفهم ما يحدث.. لأنه بَغَضه من أول نظرة.. و ...

ألقي تلك الزجاجة وسطهم.. ثم أخري.. وأخري..

شبت النيران في الداخل.. وانطلقت الصرخات..

انضم لـ (عتمان) بقية الرجال.. الذي راح يسكب البنزين في سخاء.. فوق كل شيء..

تحرر (طارق).. وأمسك بيد (أركان) و (شلبي) يحاول الهرب وسط الجموع..

- « ليس قبل حرق ذلك الكتاب اللعين.. »

كانت تلك عبارة (أركان).. صرخ (طارق):

- « أي كتاب؟ »

أشارت إلي النصب:

- « دستورهِم.. »

كان كتاب أشعار (الجوليارد) ثمينًا حقًّا.. ويستحق الدراسة.. لكن (أركان) حينها لم تعرف سوي وسيلة واحدة لمنع انتشاره.. الحرق.

أشعل (برعي) بنفسه عود الثقاب الأخير خارج الفيلا، صوت انفجار البنزين المُعتاد.. والذي مهما كُنت مستعدًّا له.. لا بد وأن يصيبك بالارتباك..

فالبنزين مثل (النيتروغليسرين)، سائل يحمل شخصية مميزة، لا يعرف التدرج في الاشتعال.. بل ينفجر مباشرة..

يا لها من لحظة ممتعة.. تلك التي ينتظرها (عتمان) دائمًا في نهاية أي حريق يُشعله.. إنها الفوضي العادلة.. التي يتساوي فيها الجميع!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حاصر رجال الأمن الفيلا.. وهرب كل الشباب تقريبًا في ذلك اليوم.. وبعد تحقيق طويل، استمر شهرًا، تم حفظ القضية دون ضجة إعلامية.. حتمًا تعرفون حساسية تلك النوعية من القضايا في مصر، خاصة عندما تتعلق بأولاد الأكابر!

كانت الفيلا مُلغمة بمتفجرات قادرة على نسفها في ثوانٍ، لكن العجيب أنها لم تنفجر رغم التهام النيران لغالبية كل شيء!

اختفي (هيرمان) و (أدولف) عبر نفق يربط الفيلا بفيلا مجاورة.. ولم يعثر لهما على أثر بعدها.. لكنهم عثروا على جثة (إستاسيوس) متفحمة قبل وصولها لنفس النفق.

حصل (عصمت) على جثة ابنه (مراد) وتم دفنه بتركيا، بعد وساطة من جماعة الإخوان المسلمين.. والتي انتهي حكمها لمصر بعد تلك الأحداث بعدة أشهر.

تم القبض على (برعي) ورجاله.. لكنهم حصلوا على إفراج بدون كفالة بعد خمسة أيام.

تزوج ذلك المجند بالمستشفي العسكري من (هدي) بعد إغلاق القضية، التي كانت سببًا مباشرًا في قربهما من بعض.

لم يكن هناك لقاء وداع بين (طارق) و (أركان).. فمثلما ظهرت فجأة.. اختفت أيضًا فجأة من حياته، لدرجة أنه عندما يُعيد تَذكر كل ما حدث، لا يصدقه.. حتى أرسلت له يومًا رسالة من شرفة قصر أبيها بجبال القوقاز تقول:

« أنت حقًّا تروق لي.. لكن ليس أكثر من هذا.. وداعًا أيها المصري.. »

لم يبقَ سوي الإشارة فقط إلي أن شخصية العميد (شريف) مُستوحاة من شخصية حقيقية في حياة (طارق عبد الملك)، لا تعرف اللين في العمل، قانونها هو الشدة.. والانضباط.. والحب الحقيقي لهذا الوطن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المكان ولاية (بافاريا).. ألمانيا..

الزمن التاسعة مساءً..

دلف (أدولف) لذلك المنزل المنعزل في كامل أناقته، استقبله رجلان قاما بتوصيله إلي بقعة معينة.. ثم انسحبا.. تقدم بعدها يُكمل الطريق منفردًا، حتى وصل إلي منصة صعد عليها.. بعدها سمع ذلك الصوت البارد يقول:

- « قَطعت مسافة طويلة.. »

(أدولف) بلهجة ترحيب:

- « نعم.. لكنها لا شيء.. طالما قابلتكم في النهاية، لقد فعلت كل هذا.. كي تتم رؤيتي.. وأستطيع الانضمام لكم.. »

أتاه الصوت البارد يقول بعد لحظة صمت:

- « الماسونية هي التي تختار رجالها وليس العكس.. فلا يستطيع أحد أن يسعي للانضمام إلينا.. إلا لو أردنا نحن ذلك.. »

شعر (أدولف) بالتوتر.. قائلًا:

- « ماذا أفعل هنا الآن إذن؟ »

الصوت البارد:

- « لقد تجاوزت الحدود.. »

(أدولف) بخوف:

- « كنت أتصور أن هذا يرضيكم.. »

- « لقد تم كشفك.. وانضمامك لنا الآن صار يمثل خطرًا.. »

- « ماذا يعني هذا؟ »

انقطع الاتصال.. وساد الظلام.. و (أدولف) يردد سؤاله برعب دون جواب.. حتى تعلق من رأسه فجأة في الفراغ..

بعد دقائق تم رفع جثته.. وتقدم (هيرمان) يقف مكانه يردد باحترام:

- « في خدمتكم.. »

وبدأت طقوس تنصيب قيادة جديدة.. لاستكمال الحرب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغلق (طارق) يومياته.. وهو يتطلع لبقايا تلك الورقة الصغيرة المحروقة، التي حصل عليها من كتاب أشعار (الجوليارد)، كان يغلفها بعناية كذكري لتلك الليلة المشئومة..

- « يتنهد فؤادي كلما رأيتك.. فأنت حسناء جميلة.. »

- « وهذا يجرحني.. جرحًا بليغًا.. »

- « (ماندالیت).. (ماندالیت).. یا حبیبتي الغالیة.. »

- « لا تأتي إلي.. »

- « عیناك تلتمعان كمثل أشعة الشمس.. »

- « فهما تضیئان اللیالي.. »

- « كما یضیئها ومیض البروق.. »

- « (ماندالیت).. (ماندالیت).. لا تأتي إلي! »

- « ولیهبني اللَّه.. ولتهبني الآلهة.. »

- « ما قد عزمت علیه.. یا حبیبتي الغالیة.. »

ابتسم (طارق) بسخریة كلما قرأ تلك الأشعار بلسان حال یقول:

- « ما هذا الهراء الذي أقرؤه! إنه مغفل آخر سقط في الحب.. وینعي حبیبته (ماندالیت).. فما علاقتي أو علاقة الشیطان حتى بالأمر؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهدف من الروایة

أعتقد أن الهدف الأول لتلك الروایة یحمل عنوانًا كبیرًا اسمه (الحرب على العقیدة).. والذي لم ولن یتوقف یومًا.. هم فقط یعیدون المحاولة كل تغیر جیل.. والذي - للأسف - یكون أضعف من الجیل الذي یسبقه، ستجدهم یدعمون من یروج للأفكار الشاذة الغریبة عن مجتمعنا، تحت مظلة كلمات فخمة مثل.. الحریات.. التغییر!

طبعًا لسنا ضد التطور، ولكن لا بد أن نكون ضد طمس الهویة والبعد عن الأصول.

الهدف الثاني.. هو التحذیر من أن تسقط في حب فتاة جمیلة أكثر من اللازم في أسبوع، حتمًا سیكون هناك شيء ما خطأ.. فالعلاقة في البدایة قد تذهب نحو الرومانسیة.. وهي في الحقیقة تسیر بوضوح نحو عبادة الشیطان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الكتیب المقبل إن شاء اللَّه.. سیكون موعدنا مع شيء مختلف..

فبینما كان الجمیع یستعد لرؤیة العجوز (بابا نویل).. وتساقط الثلوج.. والالتفاف حول مائدة الطعام، لالتهام ذلك الدیك الرومي البائس..

وجد (طارق) نفسه مُتورطًا في لغز علمي مُمِیت..

وصراع ضد عقارب الساعة، مع ابن خاله أمريكي الجنسية (عمر لاشين).. والذي ظهر في حياته فجأة!

إنه منــاخ الكـــاتب (دان براون) عاشــق فك الرموز.. وبطله المُفضل (روبرت لانغدون).. وهو يُطارد الشياطين في الشوارع الخلفية.. ليلة رأس السنة.

سيكون موعدنا إن شاء اللَّه مع.. (الدم الأزرق).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طارق عبد الملك

المعادي..

إبريل (٢٠١٣)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كلمات لم أقوَ على عدم كتابتها..

يوم (٣) إبريل (٢٠١٨)..

فجأة.. وجدت نفسي أسيرًا في جنازة الدكتور (أحمد خالد توفيق).. بل وأرفع جثمانه، ليجد جنته التي كان يبحث عنها.

الدموع لم تتوقف حتى لحظة كتابة تلك السطور، ولعل هذا الإحساس يشاركني فيه الجميع.. والبكاء هنا ليس بكاء العين فقط.. إنه بكاء ولوعة تعتصر كيانك الداخلي وتصيبك بالإنهاك.

ففي ذلك اليوم شعرت - حقًّا - أنني فقدت شيئًا ما.. اليوم مات جزء من قلبي.. وأصبحت أعرف يقينًا أنني لن أعود ذلك الشخص الذي كُنت عليه.

لم أكن أعرف أنني أحبه لتلك الدرجة، علَّ الأمر يعود إلي أن (الدكتور) استطاع الاحتفاظ بنا طويلًا.. عن طريق رواياته.. التي كنا ننتظرها بشغف لا ينتهي، حتى اللحظة الأخيرة.

بعد انتهاء مراسم الدفن، الكل لم يكن يريد الرحيل.. قطعت تلك الورقة الصغيرة وكتبت عليها (جعل الشباب يقرءون).. وقمت بتعليقها على قبره، مثلما كانت وصيته.. وكذلك فعل الجميع.

الغريب أن رؤية قبره صارت مريحة..

عجيب شأن هذا الرجل حقًّا.. لقد حوَّل ذلك المكان المُوحش الذي ينفر منه الجميع إلي مكان يشع هدوءًا وارتياحًا..

كنت أعود كل فترة، لدرجة أن ذلك (اللحاد) بدأ ينظر لي في ريبة، لكنه مع الوقت اعتاد رؤية هذا المشهد.. فالجميع صار يفعل ذلك.

عَرفت (العراب) لأكثر من عشرين عامًا كقارئ نَهِم لرواياته.. وعرفته (فقط) في العام الأخير قبل وفاته (٢٠١٧) ككاتب.

لا أستطيع أن أصف لكم.. القلق الذي أصابني عندما عرفت أن العدد الافتتاحي لسلسلة (الطارق) قد دخل مكتبه للتقييم.. فهو أحد أهم الشخصيات التي ستُجيب عن السؤال.. هل أصلح أم لا؟

وكانت المفاجأة أنه طلب العدد الثاني.. لم يكن الكُتيب جاهزًا.. عدت يومها للمنزل سعيدًا.. إن هذا يحدث أخيرًا.

لم أضيع الفرصة.. ونفذت توجيهاته حرفيًّا.. كان دقيقًا.. حاسمًا.. حياديًّا.. متواضعًا.. وطيب القلب.. لم يُغلق أبدًا الصنبور خلفه في وجه أحد، بعدما

شرب جرعته من الماء.

لقد مَهد الطريق قبل وفاته بثلاثة أشهر، كي أنضم للمؤسسة العربية الحديثة.. البيت الكبير الصارم.. والذي ما زال مُصَمِّمًا على الحفاظ على القواعد.

الشكر واجب لكل من مدير المؤسسة الراقي الأستاذ (وليد حمدي مصطفي).

الأسطورة - التي لن تتكرر - الدكتور (نبيل فاروق).. والذي يتربع فوق عرش منطقة، لا يستطيع أحد الاقتراب منها، مهما كان حجم تأثيره أو إنتاجه.. والذي لعب نفس دور دكتور (أحمد خالد توفيق) في حياتي بالضبط.. وكان سببًا مباشرًا في تعلمي القراءة.. ودخولي المؤسسة، بعدما كان هو أول مَنْ سمح بنشر السلسلة.. وظهوري ككاتب.

الأستاذ المحترم (أحمد المقدم) مدير التوزيع، عنق الزجاجة الذي مر من خلاله كل شيء.

الأستاذ الكبير المتواضع (شريف شوقي) بتشجيعه ودعمه الذي لم يتوقف يومًا.

الزميل مدير نشر المؤسسة الدكتور (هاني حجاج).

الأستاذ (خالد دسوقي).. أحد أهم شخصيات المؤسسة وأكثرهم خبرة.

الأستاذ الفنان (محمود عبد الباسط) مدير قسم الجرافيك.

الأستاذ (أسامة إبراهيم) مُعد ومُنسق الروايات.

وغيرهم مِنْ جنود مجهولة لا أعرفهم.. لكن أشعر بمجهودهم.

ختامًا أريد قول:

- « في رحلة بحث أي كاتب عن أسلوب للكتابة، يكفي أن يحمل رائحة قلم الدكتور (أحمد خالد توفيق) في كتاباته.. كي يصبح كاتبًا؛ لأن ما لديه يفيض ويكفي.. ورغم الوحدة التي خلفها رحيله في قلوبنا، إلا أنه ترك وراءه تراثًا ثقافيًّا.. وكتائب ستكمل الطريق»

وداعًا أيها الرجل!

المؤلف..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الي الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس..

تنويه..

الطارق

1 - عبقري آخر..

2 - ليلة سوداء..

3 - قهوة شاهين..

4 - التخشيبة..

5 - الغريب..

6 - الجسد..

7 - أركان..

8 - مشاعر..

9 - استدعاء..

10 - أخوية بُويرن..

11 - فتاة عاصفة..

12 - هذا القلب..

13 - الصراع..

14 - فتاة لا تعرف الحب..

15 - البلدة من جديد..

16 - البداية..

17 - الحفل..

18 - الطقوس..

19 - النهاية..

20 - الختام..

كلمات لم أقوَ على عدم كتابتها..
يوم (٣) إبريل (٢٠١٨)..

Notes

[←1]

(1) عدد من سلسلة (سفاري).. للكاتب الدكتور / أحمد خالد توفيق.(

(1) لمزيد من التفاصيل راجع أعداد السلسلة.. (البرزخ).. (الحديقة السوداء). [←2]

[3→]

(2) سيف صغير.

[←4]

(3) (إبراهيم الأبيض) فيلم سينمائي مصري بطولة الفنان (أحمد السقا) و (محمود عبد العزيز) و (عمرو واكد).. ويتناول بشكل دموي سيئ، دورة حياة البلطجي.

[←5]

(4) (corticosteroid) هرمون طبيعي تفرزه الغدة فوق كلوية (الكظرية) له وظائف عديدة أهمها: أنه يعمل كمضاد للالتهاب ورفع الضغط، أما الـ (dopamine) فهو عقار يستخدم لتقوية عضلة القلب حال انهيارها.

(5) (أدولف) (Adolph) اسم ألماني يعني (مهيب الذئب). [←6]

(6) أما (هيرمان) (Herman) فيعني المحارب بنفس اللغة. [←7]

[←8]

(7) (أركان): اسم يعني صاحب القوة والعِزَّة والمنعة والأمور العظيمة، يعني أيضًا ذلك الشخص الذي يعتمد عليه الناس.. ويأوي إليه الخائفون.. وأشراف القوم وساداتهم.

[←9]

(8) جبال القوقاز: سلسلة جبال تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين.

[←10]

(9) هيكل سليمان: المعـبد الرئيسي لليهـود، يطـلقون عليه أسـماء مثل (معبد سليمان) (البيت المقدس) (بيت همقدش).. فهو بمثابة الكعبة عند المسلمين، كنيسة القيامة عند المسيحيين. بناه الملك (سليمان) عليه السلام في القرن (١٠) ق.م. وتم تخصيصه لعبادة الرب، لكن الملك (نبوخذ نصر الثاني) هدمه بعد حصار طويل عام (٥٨٧) ق.م. قاموا بإعادة بنائه في نفس الموقع عام (٥١٦) ق.م، ليُهدم للمرة الثانية على يد الرومان عام (٧٠) م. ومنذ ذلك الحين يريدون إعادة بنائه للمرة الثالثة على أنقاض المسجد الأقصي.

[←11]

(10) جالوت: عندما زاغت قلوب بني (إسرائيل) عن الحق، وابتعدوا عن طاعة الله، وكذبوا الرسل، سلّط الله عليهم أقوامًا أخري فقتلوهم، وضعف شأنهم حتى أصبحوا أذلة، حينئذ عادوا إلي رشدهم، وبدءوا يصومون ويصلون حتى يرضي الله عنهم، وأرسل فيهم ملكًا صالحًا اسمه (طالوت)، حتى جاء يوم ما عَلِم فيه (طالوت) ملك بني (إسرائيل) الصالح، بأن أعداءً لهم يجهزون أنفسهم لقتالهم بقيادة رجل ذي بأس اسمه (جالوت)، فأعد (طالوت) جيشه وذهب لملاقاة أعدائه، تواجه الفريقان، فخرج (جالوت) من بين صفوف جيشه طالبًا المبارزة، فلم يخرج له أحد من صفوف (طالوت) لعلمهم بقوته وطغيانه. هنا قال الملك الصالح (طالوت) في رجاله: من يبارز (جالوت) ويقتله زَوجته ابنتي وجعلته قائدًا للجيش، فخرج من بين الصفوف شاب صغير السن فقير الحال، كان هذا الشاب هو (داود) عليه السلام، فقتله، وانتصر جيش (طالوت)، وما لبث أن أصبح (داود) ملكًا على بني (إسرائيل).

[←12]

(11) كل ما ذُكر عن تاريخ (الجُوليارد)، وأشعارهم الفاسدة، ومخطوطة (بويرن).. تم رصده تاريخيًّا بالفعل.

(12) بؤبؤ العين: عدسة العين.. والتي تتأثر غالبًا بتعاطي المخدرات. [←13]

[←14]

(13) السيزارب: مشروب أمريكي يتكون من تلك العناصر.. ويسبب الإدمان.

[←15]

(14) pin point pupil: عندما تضيق عدسة العين لدرجة تشبه نقطة القلم فوق الورقة، يطلق عليها هذا الاسم.

[←16]

(15) سيكون (عمر عبد ربه لاشين) هو بطل العدد القادم (الدم الأزرق) إن شاء اللّه.

[17←]

(16) كانت جماعة (الإخوان المسلمين) في تلك الفترة هي التي تحكم (مصر)، وكانت العلاقات مع (تركيا) في أفضل حالاتها.

[←18]

(17) هذه الكلمات من أشعار (الجوليارد) لا يوجد تفسير لها بعد، وربما (هيركا) تعني آنية فخارية للخمرة، و (تريليريفوس) قد تعني ثلاثة جداول من الخمرة.

[←19]

(18) الأممي: في العقيدة التلمودية يطلق على كل مَنْ لا ينتمي لدينهم أو جنسهم اسم (عبد أممي)، بما يعني الحيوان الذي خلقه الله في صورة إنسان، كي يتحملوا رؤيته.0

[←20]

(19) حقيقة طبية..

[←21]
(20) Hang over: حالة تعقب التناول المفرط للكحول أو المهدئات أو المخدرات، تتسم بفقدان الوعي والتركيز والصداع الشديد.